التمثيل السردي للشخصية العصابية " بياض ساخن " وسنوات التيه" نموذجا

اعداد

د.فايزة محمد سعد

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية - كلية الألسن جامعة عين شمس

Doi: 10.12816/MDAD.2020.68690

الاستلام : ٢٢/ ١٠ /٢٠١٩ القبول : ٢٩ / ١١ /٢٠١٩

المستخلص :

النفس الإنسانية عالم بالغ الغموض لا يستطيع أحد الادعاء بأنه استطاع سبر أغواره منذ بدء الخليقة حتى الآن. وقد تعددت محاولات الإنسانية عبر مسيرة تطورها الاقتراب من هذا العالم واقتحامه لتفسير مظاهر السلوك الإنساني واتجاهاته في علاقته بالذات أو بالأخر أو بالكون المحيط به.

ومن البديهي أن يكون التحليل النفسي هو المجال المعرفي الأكثر اهتماما بهذه الجوانب في الدراسات الإنسانية. ومن البديهي أيضا لأن الإنسان السوي الذي ينعم بالتصالح مع الذات والسلام النفسي والاجتماعي لا يشكل الظاهرة التي تسترعي انتباه المهتمين بالتحليل النفسي فثم افتراض جدلي أنه هذه هي القاعدة، لذا يسترعى انتباههم الشخصية المنحرفة نفسيا عن هذه القاعدة. وقد قسم علم النفس التحليلي الشخصيات المنحرفة نفسيا إلى شخصيات عصابية وشخصيات ذُهانية وأخرى سيكوباتية وغالبا ما يتم الخلط بينها جميعا لدى غير المختصين فيطلقون أيا منها على الشخصيات التي تعاني أي شكل من أشكال عدم السواء النفسي. وتذهب بعض مدارس التحليل النفسي إلى أن مصطلح العُصابية يطلق على الأمراض النفسية Neurosis، والأمراض الذُهانية Psychosis ، معا وان الفرق بينهما يكمن في أن المريض بالمرض النفسي العصابي يدرك أنه يعاني أمرا غير طبيعي وانه مريض ويحتاج إلى العلاج، بينما المرض الذُهانى يعاني الانفصال عن الواقع ويرفض الاعتراف بأنه مريض قد يعتقد أنه مراقب طوال الوقت. أما الشخصية السيكوباتية Psychopaty فهي الحالة الوسطى بين المرض العصابي والمريض الذهان وهي تطلق على السلوك المنحرف المضاد للمجتمع والخارج على قيمه ومعاييره مثل مدمني المخدرات، ـ والنصابين، والمنحرفين جنسيا، والمصابين بمرض السرقة.

وتحاول هذه الدراسة مقاربة التمثيل السردي للشخصية العُصابية للتعرف إلى كيفية تناول الإبداع السردي الشخصية العصابية. وقد اتخذت روايتا : "بياض ساخن" لسهير المصادفة ، و" سنوات التيه" لشاهيناز الفقى للتعرف على آليات التعبير عن الشخصية العصابية وأسباب مرضها واعراضه في الإبداع السردى.

بعد هذه القراءة التحليلية للشخصية العصابية في الروايتين نجد أن كلا من الكاتبتين قد تزودت بقدر غير قليل من القراءات في التحليل النفسي حتى تستطيع التعبير عن لا وعى الشخصية العصابية على النحو الذى رأيناه، فسهير المصادفة تعرض على لسان شخصياتها مصطلحات علم النفس التي تصف الحالة المرضية التي تعرضها توخيا لدقة المعلومات وإمعانا في دقة التعبير عن الحالة المرضية التي تشكل موضوعها السردي، فيرد في حوارات الشخصيات مصطلحات، شيزوفرنيا، ثنائي القطب ، و بارانويا والفصام، وأسماء بعض العقاقير الطبية المستخدمة في علاج مثل هذه الحالات .ومع اهتمام الكاتبة بالمرجعية العلمية في وصف المرض، وأسبابه وأعراضه فإنها ذهبت مذهب العامة في الخلط بين مريض الفصام، ومريض تعدد الشخصيات Multiple Personalities في رسم شخصية لولا.

ومن خلال شخصية الدكتور خالد عرضت أيضا شاهيناز الفقى كثيرا من التعريفات الطبية للأمراض النفسية والعصبية كالاكتئاب، ومتلازمة الجمال النائم، ومتلازمة انقطاع التنفس عند النوم، والبارانويا.

اهتمت سهير المصادفة في تفسير أسباب الإصابة بالمرض بتناول معظم الأسباب المتوقعة للإصابة به على مستوى المرجعية العلمية ، فاستقصت عوامل الوراثة، والعلاقات الأسرية، والظروف السياسية والاجتماعية التي تدفع إلى الإصابة بالمرض العصابي، لتطرح ضمنا رؤيتها الأيديولوجية لملابسات مرحلة ما بعد ثورة يناير، وحكم الإخوان، وانقسام المجتمع المصري فى تلك المرحلة. فى نقد لاذع للظروف السياسية والاجتماعية. بينما انصب اهتمام شاهيناز الفقى على الأسباب الذاتية المتعلقة بالإخفاقات العاطفية وعدم تحقق الذات أسبابا للمرض النفسي من خلال شخصية ناديا. وخطورة العلم الذي يؤدى بصاحبه أحيانا إلى درجة خطيرة من المرض إذا ما تعرض صاحبه لأزمة نفسية لم يقو على احتمالها، مثل الدكتور خالد الذي استطاع أن يخلق هذا العالم الوهمى بكل ما فيه من علاقات متشابكة.

وفى تناولهما أعراض المرض كانت تقنيات تيار الوعى فى التعبير عن وعى الشخصيات في مستوياته المختلفة التقنية الفنية التي استطاعت أن ترسم صورة لتشوش الأفكار، وتدافع مخزون اللاوعي عند الشخصيات من خلال التداعي الحر للأفكار، أو أحلام اليقظة، أو الأحلام والكوابيس. ومن ثم فقد قدمت كل من سهير المصادفة

وشاهيناز الفقى نماذج إبداعية للشخصية العصابية اتسمت بالحيوية وتعدد أبعادها الفنية مما يجعلها شخصيات حية قابلة للتصديق.

الكلمات المفتاحية: السرد، الشخصية العصابية، العالم الروائي، السيكوباتية.

Abstract:

This search deals with the representation of psychopathic characters in narration through "Hot whiteness" and " Wandering years it studies the reasons of psychopathy and its " Symptoms through the writer's point of view "Hot Whiteness" concerned with Genetic side in character. Both of the outers deals with the effect of family specially the the relationship with mother and its great effect in one's character basically in childhood. The stream of consciousness techniques in expressing the consciousness of the characters at its various levels were the technical technique that was able to paint a picture of confusing ideas, the stocks of the subconscious of the characters are defended by the free association of thoughts, daydreams, dreams and nightmares. Hence, Suhair Al-Mosadfa, and Shaheenaz Al-Fiqi presented creative examples of the neurotic personality, characterized by vitality and multiple artistic dimensions, which makes them believable, lively characters.

النفس الإنسانية عالم بالغ الغموض لا يستطيع أحد الادعاء بأنه استطاع سبر أغواره منذ بدء الخليقة حتى الآن. وقد تعددت محاولات الإنسانية عبر مسيرة تطورها الاقتراب من هذا العالم واقتحامه لتفسير مظاهر السلوك الإنساني واتجاهاته في علاقته بالذات أو بالأخر أو بالكون المحيط به.

ومن البديهي أن يكون التحليل النفسي هو المجال المعرفي الأكثر اهتماما بهذه الجوانب في الدراسات الإنسانية. ومن البديهي أيضا أن الإنسان السوي الذي ينعم بالتصالح مع الذات والسلام النفسي والاجتماعي لا يشكل الظاهرة التي تسترعي انتباه المهتمين بالتحليل النفسي، فثم افتراض جدلي أن هذه هي القاعدة، لذا يسترعى انتباههم الشخصية المنحرفة نفسيا عن هذه القاعدة. وقد قسم علم النفس التحليلي الشخصيات المنحرفة نفسيا إلى شخصيات عصابية وشخصيات ذُهانية وأخرى سيكوباتية وغالبا ما يتم الخلط بينها جميعا لدى غير المختصين؛ فيطلقون أيا منها على الشخصيات التي تعاني أي شكل من أشكال عدم السواء النفسي. وتذهب بعض مدارس التحليل النفسي إلى

أن مصطلح العُصابية يطلق على الأمراض النفسية Neurosis ، والأمراض الذُهانية Psychosis معا، وأن الفرق بينهما يكمن في أن المريض بالمرض النفسي العصابي يدرك أنه يعاني أمرا غير طبيعي، وأنه مريض ويحتاج إلى العلاج، بينما المريض الذُهانى يعاني الانفصال عن الواقع ويرفض الاعتراف بأنه مريض، قد يعتقد أنه مراقب طوال الوقت. أما الشخصية السيكوباتية Psychopathy فهي الحالة الوسطى بين المرض العصابي والمريض الذهانى. وهي تطلق على السلوك المنحرف المضاد للمجتمع والخارج على قيمه ومعاييره مثل مدمني المخدرات، ـ والنصابين، والمنحرفين جنسيا، والمصابين بمرض السرقة.[١]

وتسعى هذه الدراسة إلى مقاربة التمثيل السردي للشخصية العُصابية للتعرف إلى كيفية تناولها في الإبداع السردي. وقد اتخذت روايتي: "بياض ساخن" لسهير المصادفة[٢] ، و" سنوات التيه" لشاهيناز الفقى [٣] نموذجا للتعرف إلى آليات التعبير عن الشخصية العصابية وأسباب مرضها، أعراضه في الإبداع السردي.

وقد دأبت الدراسات النقدية التي سعت إلى قراءة العمل الأدبي في ضوء التحليل النفسي للأدب على ربط العمل الأدبي بصاحبه في ضوء نظريات التحليل النفسي وبخاصة نظريات "سيجمون فرويد" عن اللاشعور. وقد ظلت هذه الدراسات لفترة طويلة تتحرك في إطار مجموعة من الثوابت التي ترتكز إلى هذه المرجعية العلمية في التحليل النفسي، وما طرأ عليها من تغيرات ليست جوهرية. فقد ظلت تتحرك في إطار (ربط النص بلا شعور صاحبه، وافتراض بنية نفسية تحتية متجذرة في لا وعى المبدع تنعكس بصورة رمزية على سطح النص ...والنظر إلى الشخصيات – الورقية- في النصوص على أنهم شخوص حقيقيون بدوافعهم ورغباتهم. والنظر إلى المبدع صاحب النص على أنه شخص عصابي ، وأن نصه الإبداعي هو عرض عصابي يتسامى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزي مقبول اجتماعيا)[٤] بيد أنه في الربع الخير من القرن العشرين ومع بداية الألفية الجديدة خرج من عباءة التحليل النفسي للأدب تيار نفسى في النقد الأدبي يأخذ بمقولات علم النص ، ومقولات التحليل النصي ليقدم للساحة النقدية المصطلح الذى لم يستقر بعد:" التحليل النفسي للنص" الذى يضع النص الأدبي ذاته في بؤرة اهتمامه إذ يرى أنه(ينبغي للناقد الأدبي أن لا يراعى في عمله إلا المؤلَّف وقد صار نصا، لأن المبدع في واقعه أمر يهم مؤرخي الأدب والمؤرخين بالتحديد أو السوسيولوجيين أو المحللين النفسيين الذين يتساءلون عن الإبداع)[٥]

وبما أن الموضوعة السردية موضع الدراسة تتعلق بالنص السردي في تناوله الشخصية العصابية فإن التحلي النفسي للنص يشكل المقاربة النقدية الأكثر ملاءمة للتحليل الشخصيات في ضوء معطيات التحليل النفسي.

تتناول "بياض ساخن" شخصية لولا المريضة العصابية التي تعاني انقساما في شخصيتها، فكأنها انقسمت إلى شخصيتين منفصلتين متداخلتين، وهو ما يطلق عليه التحليل النفسي مرض تعدد الشخصيات: " يظن البعض أن مرض الفصام هو ازدواج الشخصية وذلك خطأ فادح إذ إن المرض هيستيري، ويختلف في أسبابه ونشأته، والأمثلة كثيرة في الأفلام السينمائية مثال دكتور جيكل ومستر هايد وثلاثة وجوه لحواء، فالمريضة هنا تتقمص شخصية أو شخصيتين تقوم أثناءهما بما لا تستطيع القيام به بشخصيتها الحقيقية، ولا تتذكر أثناء الشخصية المرضية حقيقتها.. والمريض في هذه الحالة قد تراوده أفكار الانتحار)[٦]

والمريض بهذه النوعية من الأمراض العُصابية يرفض الاعتراف بمرضه، لذا ترى لولا أن عبلة هي المريضة، وأنها هي المصابة بالجنون، وأن بداخلها وحش كاسر يحاول الخروج وأن مرض عبلة هو الذي يجعلها ثرثارة: " ينطلق الوحش من بين شفتيها على هيئة كلمات بذيئة لا أدرى أين ومتى تعلمتها. عبلة تتكلم وتتكلم بدون توقف، تتساقط الكلمات من فمها بسرعة شديدة كأنها شلال كأن هناك من يجبرها على أن تقولها)[٧]

توهم الكاتبة المتلقي أنهما شخصيتان منفصلتان تتبادلان السرد (لولا، وعبلة) فتقوم لولا بدور الراوي في عشرة فصول روائية تحمل اسمها، وتقوم عبلة بدور الراوي في تسعة فصول روائية تحمل اسمها أيضا، ويبقى الفصل الأخير من الرواية الذي تجمع فيه الكاتبة سائر خيوط السرد وتصوغ فيه النهاية دون عنوان. فقد قسمت الكاتبة الرواية إلى عشرين فصلا سرديا عنونت كل فصل برقمه واسم الشخصية التي تقوم بدور الراوي، فيما عدا الفصل الأخير الذي وضعت له رقما (٢٠) دون أن تنسبه لراو. من خلال مرض لولا المريضة تطرح الكاتبة قضية انقسام المجتمع المصري كله حول مرحلة حكم الإخوان. هذا الانقسام الذي أصاب البيت المصري بين مؤيد ومعارض.

أما " سنوات التيه" فإنها تتناول شخصية عصابية مريضة بمتلازمة الجمال النائم Kleine-Levin Syndrome (KLS)[٨] يحاول طبيبها مساعدتها لتذكر أحداث السنوات الثلاثة الماضية من حياتها، والتي توقف عندها وعى الشخصية، إذ تتذكر ما وقع بحياتها من أحداث وذكريات منذ الطفولة حتى هذه اللحظة الزمنية التي انقطعت فيها عن العالم الخارجي والتي لم تعد تذكر شيئا عنها. فأبعد نقطة زمنية في استرجاعها الماضي ترجع إلى زيارتها دير وادي النطرون بصحبة أمها وجارتهم المسيحية طلبا للاستشفاء على يد أحد القساوسة. ولم تعد تتذكر شيئا عن حياتها بعد هذه الزيارة.

تقدم الكاتبة صورة للنشاط الذهني للشخصية في حالات التشويش التي تمر بها، ومحاولات طبيبها مساعدتها، وسعيه وراء أية خيوط يمكن أن تساعده في الوصول إلى أهلها وذويها، لمساعدتها في تذكر هذه المرحلة من حياتها. وتنحو الكاتبة في هذا منحى

الروايات البوليسية التي تعتمد على الغموض والإثارة والدهشة؛ إذ تفاجئ المتلقي في الفصل الأخير من الر واية بأن المريض النفسي هو الطبيب. وأن المريضة ناديا والشخصيات جميعا ماهي إلا شخصيات وأحداث من خيال الطبيب، ومن مخزون لا وعيه الذي اختزن حكايات المرضى وقصصهم عبر تاريخه المهني الطويل؛ إذ استرفد تفاصيل واقع بديل من مخزون اللاوعي لديه (خالد إن ناديا تسكن عقلك أنت فقط ... إنها إحدى الحيل التي تستخدمها للهروب من واقعك)[٩] وذلك في محاولة للهروب من واقعه الذي يرفضه، ويرفض تصديقه والتفاعل معه؛ إذ كان سببا في وفاة زوجه وابنه، فقرر عقله الانسحاب من هذا الواقع إلى واقع بديل اختلقه وعاشه بتفاصيله جميعا.

فالطبيب النفسي خالد مصاب بمرض" البارانويا أو جنون الهُذاء" وهو" مرض عقلي من فئة الذهان يتميز بوجود هذاء* منظم وثابت مع احتفاظ الشخصية عادة بإمكاناتها العقلية دون تدهور ناتج عن استمرار فترة المرض...ويلاحظ أن محور تصورات المريض يدور حول هذيانه هذا الذى يعتقد تماما في صدقه ولا يشك فيه لحظة...ويتخذ المريض من إمكاناته العقلية التي لم تتدهور ومظهره السوى سندا لتبرير صدق معتقداته الهذائية والدعوة بين المحيطين به لتصديقها" [١٠] وقع خالد فيما يمكن أن نطلق عليه حالة التوحد بين الشخصية المريضة والحالة المرضية المتخيلة؛ فعاش خياله باعتباره واقعا حاول أن يفرضه على طبيبه المعالج الدكتور شاكر وصباح الممرضة التي تقوم على رعايته.

*** أسباب المرض:**

اهتمت الروايتان كلتاهما بالإسهاب في سرد أسباب المرض عند الشخصيات الرئيسة، والتي تنوعت بين أسباب وراثية، وأسباب ترجع إلى الظروف المحيطة بالشخصيات منذ مرحلة الطفولة؛ إذ تناولتا الملابسات والتجارب والخبرات الحياتية التي شكلت ضغوطا لم تحتملها الشخصيات فأدت إلى الانهيار النفسي والإصابة بالمرض.

- الوراثة:

تعمل العوامل الوراثية على تهيئة المريض للوقوع في براثن المرض العصابي.؛ إذ " تلعب الوراثة في تفاعلها مع البيئة الدور الأساسي في تكوين خصائص الشخصية سواء أكانت تلك الخصائص جسمية أم عقلية، وفى بلورتها وتشكيلها، كالطول ولون البشرة، ومستوى الذكاء وقوة الذاكرة، وسلامة الجهاز العصبي "[١١]

رسمت الكاتبة في" بياض ساخن" من خلال شخصية الجد شوكت الملوان الشخصية العصابية التي ورّثت الاستعداد النفسي للحفيدة، فمن خلال تفاصيل مرض الجد التي تتناثر عبر الاسترجاع الزمنى في وعى شخصية لولا تطرح الكاتبة التاريخ المرضى للمرض النفسي في العائلة، لتثير قضية الوراثة وأثرها في المرض النفسي. وتقارن الكاتبة بين أعراض المرض عند الجد، وأعراضه عند عبلة من منظور لولا في

أكثر من موضع لتؤكد وراثية المرض. كانت عبلة مثل جدها الذى كان يهيم على وجهه في الشوارع حافيا :(واستطاع في آخر شهرين فقط من حياته أن يجوب مصر من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها سيرا على قدميه..)[١٢] فقد كان مصابا بنوبات عصبية فسرها طبيبه المعالج بأنها حالة فصام بعد أن فشلت محاولات علاجه بالعقاقير والصدمات الكهربائية. ولما لم يجد معه العلاج كان الأطباء يطلقونه إلى خارج المستشفى ليهيم على وجهه في شوارع القاهرة. كانت أعراض مرض عبلة تتشابه إلى حد كبير مع أعراض مرض الجد:" كان كل ما يغيظه هو أن يحبس صوته بعد صراخ طويل متواصل يدوم ثلاثة أيام فتلتهب أحباله الصوتية .عبلة أيضا تصرخ ، ويالللغرابة صراخا متواصلا لمدة ثلاثة أيام لا تزيد ساعة ولا تقل ساعة ... كان مثل عبلة يستطيع القفز من حكاية في الحضارة الفرعونية إلى حكاية في حضارة التبت ويستطيع أن يثبت انه من سلالة زرقاء اليمامة أو هتلر أو مارتن لوثر كينج أو حتى مريم المجدلية ...) "[١٣]

كان شوكت الملوانى شخصية مثقفة متقدة الذكاء، وكثيرا ما يشكل هذا الذكاء مشكلة للطبيب المعالج؛ فالمريض لديه من الثقافة في علم النفس والتحليل النفسي ما يجعله متمكنا من التحايل على أساليب العلاج وكأنه في حالة تصميم على الهروب.

كان يدرك فشل الأطباء في علاجه ويسخر منهم، ومن تشخيصهم للمرض، وأسلوب العلاج: " ماذا قلت يا دكتور؟ ماذا قلت أيها التافه (Schizophrenia) حالة فصام مثالية! هل مثالية هي الترجمة الصحيحة لكلمة " بيرفكت perfect؟ " أ م أنك تعنى حالة فصام كاملة؟ هل هذا ما سيجعلك تطمئن وتنام وتشخر

يا دكتور بعد أن وضعتني في خانة من خانات جدولك المتخلف؟ هذا ما سيريحك أن تصور دماغي وتتأمل الفص الأمامي وتتأكد أنه يفرز مادة الستراتيوم ثم تقنع نفسك أنها السبب في مرض الفصام الذى يصور لك خيالك المريض أننى مريض به)[١٤]

كان مصابا بنوبات من الفصام ترتبط باضطراب التفكير الذى صنفه علماء النفس باعتباره من الأعراض الأولية والمهمة لمرض الفصام ؛ إذ صنفوا مرض الفصام إلى عدة أنواع تبعا لنوع الاضطراب، ووضعوا على رأس القائمة "اضطراب التفكير"[١٥] الذى تتعدد أعراضه عند مرضى الفصام. ومن خلال تصوير الكاتبة لشخصية الجد وسلوكياته، وحواراته الطويلة مع طبيبه المعالج يمكننا القول بأن الكاتبة تصف مريضا يعاني أعراض "اضطراب التفكير" في مناحي متعددة. فهو يعاني من

" اضطراب في التعبير عن التفكير"؛ إذ يعاني من عدم ترابط أفكاره وعدم قدرته على الاستمرار في الحديث عن موضوع واحد فترة طويلة، فقد كان ينتقل من موضوع لآخر دون رابط بين الموضوعات، فيتحدث عن الحضارة الفرعونية وحضارة التبت، ويتحدث عن البابليين، والتقويم القبطي والسرياني والبيزنطي، وعن عدد ساعات النوم عند البقر... موضوعات كثيرة بالغة التنوع والاختلاف دون التركيز على أي منها. وهو

في تدفقه هذا وانتقاله من موضوع لآخر يصاب بحالة صمت مفاجأة، وكأن تفكيره توقف عن العمل، ثم يعاود الحديث مرة أخرى، ولكن دون أي رابط بما كان يتحدث فيه، إذ يحدث له ما يطلق عليه" اضطراب مجرى التفكير": " في مرض الفصام قد يحدث عرض خطير وهام وهو توقف التفكير Thought Block فجأة وأنت تستمع لمريض الفصام .تراه توقف فجأة عن الحديث وبعد فترة وجيزة بدأ الكلام ثانية، ولكن في موضوع مختلف تماما عن الموضوع السابق"[١٦] كما يعانى مما يطلق عليه " اضطراب التحكم في التفكير" الذى يجعل مريض الفصام "يشكو في قلق بالغ أن الآخرين يقرأون أفكاره Thought Reading إما مباشرة أو عن طريق أجهزة. كما أنهم يستطيعون قراءتها عن بعد" [١٧] فهو يثور على طبيبه ويتهمه بأنه يستطيع قراءة أفكاره وأنه يحاول أن يمحو هذه الأفكار ليضع بدلا منها أفكارا بديلة :" وأنا أعرف أيضا أنك تستطيع قراءة أفكاري ، ولكن هل تعتقد يا ابن العاهرة أنك ستزرع أفكارا جديدة في مخي بأقراصك المختلفة"[١٨] وينتقل وعيه نقلات سريعة وحادة مازجا الواقع بالخيال فيتحدث عن انتحار زوجته التي انتحرت بسبب مرضه، ثم ينسج الحكايات عن هذا الانتحار ويعتبر موتها خيانة إذ تركته وحده فيصب عليها جام غضبه واللعنات.

- الخبرات المختزنة من الطفولة:

تشكل خبرات الطفولة عاملا مهما في تهيئة الإنسان للإصابة بالأمراض النفسية فالحكايات المرعبة للأطفال والتي يختزنها العقل في اللاوعي تسهم بشكل كبير في تشكيل الملامح النفسية للشخصية. تلك الحكايات التي تقدم للطفل دون وعى ثقافي بما يمكن أن يقدم له، وما لا ينبغي أن يسمعه، أو الطريقة التي يقدم بها المعلومة للطفل.

في " بياض ساخن" ساهمت حكايات العمة فاطمة في ترسيخ الخوف المرضى في لا وعى عبلة منذ أن كانت طفلة بقصصها وحكاياتها عن عذاب القبر، ظنا منها أنها تزرع في نفس الطفلة الخوف من المعصية والبعد عنها:(و يا كم ظللت ساهرة ليال طويلة وأنا أرتعد من الخوف تحت الغطاء، أسأل عن مصائر أبطال حكاياتها وأتخيل ثعابين القبر وعقاربه، وشكل ناكر ونكير، ووحوشا لها ألف قرن، وست الحسن التي يحيكون لها المؤامرات....)[١٩] تصورت العمة أنها تقدم حكايات مسلية هادفة دون أن تدرك الأثر النفسي لهذه الحكايات التي يختزنها اللاوعي، والتي تفصح عن نفسها في شكل هلاوس ومخاوف مرضية تعرب عن نفسها من خلال الأحلام والكوابيس.

كانت عبلة طفلة بالغة الذكاء لديها مهارات خاصة في تعلم اللغات الأجنبية التي كانت تتعلمها بسرعة تدعو للدهشة. وقد أثبتت بعض الدراسات النفسية أن الأطفال الأكثر ذكاء هم الذين يصبحون أكثر عرضة للإصابة بالأمراض النفسية، فثمة علاقة بين مستوى ذكاء الطفل وصحته النفسية في مرحلة الطفولة والمراهقة.[٢٠]

وفى " سنوات التيه" ألقت الكاتبة الضوء على بعض الخبرات الانتقائية المختزنة في لا وعى ناديا، والتي كانت تفصح عن نفسها في أحلامها سواء في النوم أو اليقظة. فقد ظلت خبرة اليوم الأول لها في المدرسة، وقسوة المشرفة التي جذبتها بعنف وهي تبكي ممسكة بطرف فستان أمها ذكرى لا تفارقها كلما سرحت في طفولتها: (أذكر كراهيتي لتلك المشرفة طوال بقائي في المدرسة حتى تخرجت. لم أنس قسوتها في التعامل معي، نظرتها الحادة، ولمسة يديها الجافة. كنتت أراها في أحلامي وقد تدلت من رقبتها بحبل في سقف الفصل. أو وهى تقع من الدور الأخير في المدرسة فتتهشم رأسها وتسيل منها الدماء على أرض الفناء...)[٢١]

كانت ناديا طفلة عنيدة تعرف كيف تحصل على ما تريد. انطبع في ذاكرتها نقد أمها لشخصيتها وهى تقارن بينها وبين أختها فاتن:(لم أكن مطيعة وهادئة مثل فاتن. هكذا كانت أمي تردد دائما: هذه البنت رأسها صلب وعنيدة ليست كمثل أختها أبدا)[٢٢]

ظلت ذكريات الطفولة الأليمة تطفو على سطح الوعي لدى ناديا كلما وجدت فرصة سانحة لها. فلا تتذكر أحلامها المجهضة كراقصة باليه، إلا وتذكرت إصابتها وهى طفلة، حين فقدت توازنها وهي ترقص الباليه وأصيبت إصابة بالغة كادت أن تمنعها من السير مرة ثانية ولكنها بعد العمليات الجراحية استطاعت السير دون عكاز بوكزة في القدم.

- كما عرّجت الكاتبة على طفولة الدكتور خالد لتربط بين الطفولة غير السعيدة والاستعداد للمرض النفسي والعقلي. لم يكن الدكتور خالد طفلا سعيدا إذ كان طفلا وحيدا يفتقر إلى وجود أخوة أو أصدقاء، لذا كان هاجس الوحدة يؤرقه دائما فى مراحل حياته جميعا:" كنت طفلا وحيداً ولكني الآن بت أكره الوحدة وأخشاها، في بعض الأوقات القليلة بعد أن تكون الوحدة والكآبة بلغوا مبلغهم من أيامي أتصل بياسر فأدعوه إلى منزلي لمشاهدة فيلم أو للعب البلاي ستيشن)[٢٣]

*** العوامل البيئية الداخلية (الأسرة)**

تشكل علاقة عبلة بأمها سببا قويا من الأسباب التي تسوقها الكاتبة للمرض النفسي، فقد ظلت عبلة تحمل بداخلها رفضا لأمها؛ بسبب قسوة هذه الأم في معاملة جدها شوكت الملوانى الذي كانت ترتبط به ارتباطا قويا :(...المرة الأخيرة التي رأت فيها جدي شوكت بعد أن اختطفني وأنا صغيرة ليفسحني في مولد السيد البدوي. يومها طردت أباها من البيت، ولم تره إلا ميتا لتستلمه من مشرحة زينهم بعد أن لفوا بملاءة ملوثة جثته المشوهة من جراء نهش الكلاب من سفح أهرامات الجيزة. هيأ لي يوم عزائه أنها فرحة جدا لتخلصها من عار جنونه إلى الأبد)[٢٤] فقد ظل هذا المشهد محفورا في ذاكرة عبلة الطفلة، لم يمحه تعاطفها مع أمها في أزمة مرضها بمرض السرطان الذى أدى إلى وفاتها. لذا كان على الطبيب المعالج أن يبحث في هذه الذكرى الأليمة المحفورة

فـي ذاكرتهـا، وهـو يبحـث عـن المـؤثرات المختلفـة التـي أدت إلـى إصـابتها بـالمرض :"يذكرني الدكتور عزت منصور بالسؤال الذى طالما هربت منه طوال سنوات طويلة، لماذا أكره أمي؟)[٢٥] لم تسامح عبلة أمها على تلك المعاملة القاسية لشخص كانت تحبه وتتعلق به. كما ظل راسخا في لا وعيها الحزم والصرامة التي كانت تعاملها بها والقائمة الطويلة من المحظورات التي كان أهممها لمس النول الخشبي الذي تطرز عليه الأم لوحاتها، أو الإمساك بأي قطعة مما تقوم بتطريزه بالسيرما. لم تستطع طفولتها البريئة فهم دوافع الأم وحرصها؛ كانت رمزا لخشونة التعامل والاستعلاء على الآخرين على الرغم من جمالها أنثى تحظى بإعجاب من حولها وبخاصة زوجها الذي كان حريصا على الانصياع لطلباتها جميعا. لذا حفرت في لا وعيها الرغبة في التمرد على هذا النظام الصارم فكانت في نوبات مرضها تفترش أرض المطبخ لتأكل بيديها تمردا على نظام البيت في الأكل على الطاولة واستخدام الشوكة والسكين، وكلما نظر إليها أخوها مسحت يديها في ملابسها ومسحت فمها بكمها وكأنها تتحدى النظم الصارمة التي رسختها أمها.

كما كان للصراع الداخلي الذي تعاني منه عبلة فى موقفها من أخيها علاقته القوية بمرضها؛ فهي تحب أخاها مجدي، وعطفه عليه، وعلى الرغم من ذلك تكره كونه ضابطا في أمن الدولة، ينكر ثورة يناير ويعتبرها مخططا خارجيا. فهي تراه جزءا من النظام الذى خرجت للثورة عليه: " يقولون يا مجدى إن جهازكم سيء السمعة في العالم كله يقولون إنكم لا تخضعون لأي تفتيش أو رقابة وإنكم تعذبون الناس حتى الموت ... وتصعقونهم بالكهرباء وتعتدون عليهم جنسيا ثم تطفئون سجائركم في أجسادهم ليعترفوا بما لم يفعلوا)[٢٦]

أما في " سنوات التيه" فقد ورثت ناديا العند وصلابة الرأي عن أمها" كان جدى يقول لأمي دائما: العند جينات موروثة ابنتك ورثت العند وصلابة الرأي منك"[٢٧] كانت الأم تهوى السباحة وتحلم بأن تكون بطلة رياضية ولكنها لم تستطع تحقيق حلمها فأرادت أن تحققه في ابنتيها ، استجابت لها فاتن واستعصت عليها ناديا التي كان حلمها أن تكون راقصة باليه: (صدمت برفض أمي وكأنها تعاقبني على حرمانها من حلمها أصررت وبكيت وتمرغت على الأرض وصدمت رأسي في الحائط وامتنعت عن تناول الطعام حتى رضخت وهى تشعر بالهزيمة أمامي)[٢٨]

تملك ناديا شعور راسخ بأنها لم تحظ في طفولتها بما كان يجب أن تحظى به من اهتمام الأم؛ إذ كانت أكثر اهتماما بأختها فاتن. ذلك الاهتمام الذي كانت تحاول تبريره بمرض فاتن إذ كانت مصابة بالحمى الروماتيزمية.

لم تكن الأم في نظر ناديا الطفلة مثلا أعلى؛ فقد كانت ترفض شخصية الأم، وترفض أن تكون مثلها (أمي بطبيعتها شخصية سهلة الانقياد وتعشق التضحية ليس من أجلنا فقط، وإنما كل من حولنا ، طبيعة شخصيتها هكذا، من السهل أن تتنازل عن كل

أهدافها من أجلنا، أن تفنى وتتحلل في شخصية الأخرين أما أنا فشخصيتي مختلفة تماما عن أمي)[٢٩] ومع هذا الرفض لشخصية الأم كان من أسباب الانهيار النفسي لناديا أنها أصبحت صورة من هذه الأم حين تنازلت عن كل شيء لتبقى إلى جوار الرجل الذى أحبته وقبلت أن تتزوجه بعقد زواج عرفي وجعلها تابعة له .

أما عن علاقة ناديا بأختها، فقد كانت شديدة الارتباط بها؛ إذ فكانت تحمل نفسها مسئوليتها وقدرا كبيرا من الأمومة، لذا كان لوفاتها أثر عميق في أزمتها النفسية. أما علاقتها بابنة عمها فقد كانت علاقة ملتبسة يختلط فيها الحب بالشفقة (ربما كانت سناء تمثل تهديدا بشكل ما وضغطا مستمرا على نفسيتها)[٣٠] كانت ترى أن سناء لديها شعور ما بالنقص لأنها لا تمتلك جمالا أنثويا لافتا وربما لشعورها باليتم؛ إذ توفيت أمها وهى طفلة رضيعة لذا كانت تعوض هذا الشعور بالنقص بأن تكون دائما في بؤرة اهتمام من حولها بضحكها ومزاحها وثقافتها وشخصيتها الاجتماعية.

اعتبرت سهير المصادفة الخرس الزوجي، وإهمال الزوج زوجه، خاصة مع تقدم العمر من الأسباب التي تصيب نفسية المرأة وجهازها العصبي بالهشاشة فيصبح مهيئا للوقوع في براثن الأمراض النفسية والعصبية، إذ تشعر أنها أصبحت كائنا فائضا عن الحاجة في حياة من حولها: "أنت تعرفين أنك قد كبرت عندما تنغلق في وجهك أبواب السماء ويهجرك الحب والدموع حتى النشيج والضحكات بصوت عال...أنت توقنين أنك قد كبرت عندما لا يسألك زوجك: أين كنت؟ ومع مَنْ؟ وماذا فعلت؟ ... عندما تصبحين مهملة من الأمكنة والناس) [٣١]

في "سنوات التيه" حملّت ناديا نفسها مسئولية الانصياع لأوامر فهمى الذى حرمها من رؤية أختها التي كانت حادثة موتها القشة التي قسمت ظهر البعير إذ " جعلت ناديا تفقد كل قدرة لديها على المقاومة، وبداية رحلة الهروب التي قطعت فيها تذكرة ذهاب بلا عودة، ، فآثرت الابتعاد عن الواقع الذى يؤذى نفسها وأخذت تنسج هي الأحداث التي تسبب لها سعادة وإن كانت زائفة ، اختارت الحل الأسهل وهو الهروب)[٣٢]

لم تحتمل نفسية ناديا وجهازها العصبي الشعور بالذنب إزاء تقصيرها في حق أختها، ورفضها واقعها المستسلم لهذا الرجل الذي خدعها وأذاقها صنوف العذاب بساديته، فانسحبت من الواقع إلى داخل نفسها لتنسج واقعا بديلا هي أيضا من صنع خيالها مليئا بالشخصيات والأحداث والمواقف، فلم يجعل الدكتور خالد من ناديا شخصية عصابية مصابة بمتلازمة الجمال النائم فحسب، بل منحها بعضا من أعراض مرض البارانويا الذي يقع هو نفسه تحت وطأته.

*** البيئة الخارجية:**

- العلاقة بالعمل:

كانت عبلة تعمل مرشدة سياحية تتقن خمس لغات. عانت كثيرا من إحباطات العمل بسبب ما تراه من صراعات وسلوكيات لا علاقة لها بشرف المهنة: " لقد تركت عملي منذ أشهر، تركت لهم كل شيء حروبهم الصغيرة، صراعاتهم الدنيئة من أجل الترقي لمنصب أكبر، حوافزهم، أسفارهم، مؤامراتهم العقيمة لرمي الشباك حول أحد الأجانب المتولهين في حب مصر لاصطياده وإقناعه بمشاركتهم لتأسيس شركة سياحية خاصة)[٣٣] فقد كانت مظاهر الفساد والقبح تحاصرها ولكنها لم تستطع المواجهة ، فكان الحل دائما هو الهروب، لذا تركت عملها الذى لم تستطع أن تتكيف معه، ولا أن تصبح جزءا من منظومته الفاسدة. ولم يحقق لها عملها مترجمة بالأمم المتحدة أكثر ما قدمه لها عملها مرشدة سياحية ، فقد رسخ في لا وعيها العبث المجتمعي في أبشع صوره ؛ حيث الكذب والنفاق، والشعارات البراقة الخاوية التي يمارسها العالم ، فالسلبية تحاصرها في المشاهد جميعا في المؤتمرات الكلامية ، بين الواقع والمتخيل في عقول الساسة ورؤوسهم حين تترجم وعود الأمم المتحدة التي لا يتحقق شيء منها" أنهى عملي كمرشدة لوفود جامعة الأمم المتحدة أو كمترجمة فورية لسد فراغ أحد المترجمين الغائبين أنهى كل ما أترجمه من ترهات لا يتحقق منها شيء حول حماية حقوق الإنسان، ووقف العنف ضد المرأة والطفل والسلام، وعطف الدول العظمى على الدول النامية، والحد من انتشار السلاح، والحفاظ على البيئة ومكافحة الفساد)[٣٤] ارتبطت إحباطات المجتمع في مجالات العمل بالشعور القهري وعدم الرضا عن الذات إذ تجد الشخصية نفسها واقعة تحت ضغوط لا تستطيع احتمالها إرضاء للغير. فإذا كانت طبيعة العمل هي التي دفعت عبلة إلى الشعور بعدم الرضا عن الذات، فإن ناديا وقعت تحت الضغوط نفسها حين وجدت نفسها مضطرة لارتداء قناع في مظهرها الخارجي وسلوكياتها، قناع لا يعبر عن شخصيتها الحقيقية. فقد كانت تقوم بكثير من الأفعال غير المقنعة لكنها مضطرة لها، مرغمة لإرضاء الآخرين ؛ فحين أحبت المحامي المشهور فهمى عبد الحميد ارتدت قناع الجدية والاحتشام والالتزام بالملابس الغامقة والأحذية القصيرة إمعانا في تقمص شخصية وقورة جديرة بحب الأستاذ الكبير وتقديره (حبى له طمس شخصيتي حتى أصابتني شيخوخته)[٣٥]

- تغير القيم في المجتمع المصري:

كان التكاتف الاجتماعي وقت الأزمات من أهم سمات الأسرة المصرية والمجتمع، فلم يكن الفرد يعيش في جزر منعزلة لا يعرف شيئا عن أهله ولا جيرانه. وقدمت سهير المصادفة هذا النموذج الإيجابي ممثلا في شخصية العمة فاطمة، والرجل الصعيدي الذي ستر عرى عبلة حتى يتضح عمق التغيير الذي طرأ على قيم المجتمع المصري

وبشاعته. حين يمر الأب بأزمات مالية كبيرة ترفض أخته فاطمة أن يبيع آخر ثلاثة فدادين يمتلكها في الدنيا، فتحمل من خيرات بيتها ما تستطيع حمله وتذهب لبيت أخيها. وحين خلعت عبلة في إحدى نوبات مرضها ملابسها على كورنيش النيل، كان الوحيد الذى تحرك وخلع عمامته ليسترها بها هذا الصعيدي الذي يشكل في لا وعيها النموذج الحقيقي للشخصية المصرية، أيا كان الدين الذي ينتمي إليه. فهو الذي يمثل أصالة هذا الشعب وطيب معدنه فهو الرهان على ستر عورات هذا البلد الذي كشفت الثورة عوراته وفضحت كثيرا من سلوكياته في الشارع المصري.

في بداية تسعينات القرن بدأ التيار الإسلامي يثبت وجوده في الشارع المصري بفكره ومظهره، فأصبحت اللحية سمة الكثير من الرجال والشباب، وأصبح الحجاب من العلامات المميزة للمرأة المحافظة. وقد استجابت العمة فاطمة لرغبة أولادها فخلعت طرحتها الحريرية الهفهافة واستبدلت بها الحجاب:(بدأت ترتديه وهى كارهة له نزولا على رغبة أهلها وجيرانها وبمجرد دخولها إلى أي مكان مغلق تنزعه بغيظ)[٣٦]

وقد انسحب هذا التغيير على مظاهر الحياة جميعا فلم تعد عبلة ترى إلا قبحا يحاصرها في كل الأشياء المحيطة بها في الواقع الخارجي. هذا الواقع الذي يصطدم بعنف مع نقيضه الجميل الذي لم يعد له وجود فيدفعها لرفضه بقوة. فالمباني وواقع مدينة القاهرة التي تحولت إلى عمارات سكنية تشبه السجون دون أية لمسة جمالية في معمارها. الكباري والأنفاق والعشوائيات جميعها تصطدم بالصورة الجمالية للقاهرة الخديوية التي كانت تتسم بالجمال والأناقة والرقى. وينسحب رفض هذا الواقع على رفض الزوج(سامي) الذي يعمل مهندسا وتلقى عبلة عليه لا شعوريا بالمسئولية كاملة عن تدنى مستوى الجمال المعماري بل وفقدانه: "سامي القذر هو السبب، سامي الفاشل. سامي بانى علب كبريت التي يسميها مسكن. سامي الذي لا يخجل من تصميمه عمارة كمن عشرين دورا في شارع لا يزيد عرضه على ثلاثة أمتار، في إمبابة وشبرا والوراق وأرض اللواء. سامى العشوائية هو المسئول عن تشويه القاهرة"[٣٧]

ولا ينفصل القبح المعماري عن القبح السلوكي وسيادة قيمة المادة في مقابل انهيار العلاقات السوية، مثل انتشار ظاهرة زواج الأجانب وبخاصة العجائز منهم.

العجائز من نساء الأجانب اللاتي يقمن باصطياد الشباب الذين لا تزيد أعمارهم عن السبعة وعشرين عاما ويبيعون أحلامهم من أجل حفنة دولارات(هؤلاء الشباب الذين يجمعون الدولار على الدولار حالمين ببنات أعمامهم اللاتي ينتظرنهم في قرى بعيدة فقيرة إلى حد الشعور بسخافة كلمة الفقر عند وصفها)[٣٨]

والبنات اللاتي يتزوجن من عجائز الأجانب وكأن كل واحدة منهن تبيع شبابها مقابل أن تحقق أحلام أسرتها وتنتشلها من مستنقع الفقر.

فما الذي يدفع الشباب والفتيات إلى المتاجرة بشبابهم وأحلامهم سوى الفقر الذي انزلق إليه المجتمع المصري وبات تدنى مستوى دخل الفرد في الأسرة المصرية في أعلى مستوياته. ومع انتشار الفقر تنتشر الموبقات الاجتماعية. الفقر الذي يدفع الشباب لأن يؤجر نفسه بلطجيا يكسب قوته من قوة ذراعه التي يؤجرها لمن يدفع.. فقر الأسر التي عاد عائلها من العراق ببطانية وساق مبتورة وأهله لا يعرفون مَنْ كان يحارب مَنْ. الفقر الذي يدفع إلى العهر والانحراف، و المعارك اليومية وصوت طلقات الرصاص في فجر كل يوم في شارع الهرم:(حفنة من رجال يريدون حفنة نسوان ومعهم من يسمون انفسهم البودى جاردات وأولاد ذوات يحملون مسدسات مرخصة كل هؤلاء يضربون بعضهم البعض كل ليلة) [٣٩]

والفقر وتوابعه من تدنى الذوق العام هو الذى جعل من أحمد بن انشراح العاطل الذي فشل في عمله بائعا على عربة حمص أو عربة خضار، يعمل مغنيا في كباريه، وأحيانا بودي جارد في الكباريه نفسه.

انسحب القبح على التفصيلات جميعا في الشارع المصري: العاهرات في شارع الهرم، والتحرش الجنسي وسلبية المجتمع في حماية النساء والفتيات اللاتي يتعرضن له، والاكتفاء بدور المتفرج، وأطفال الشوارع، والقوادين، صناديق القمامة الحبلى بأكثر مما تحتمل، والإعلانات القبيحة بألوانها الفجة، وأتوبيسات المدارس المنتهية الصلاحية...

فقد أصبح المجتمع يحمل المتناقضات جميعا. تلك المتناقضات التي لم يعد وعى عبلة يحتملها فانقسم على نفسه رافضا لها، حتى يخلق شخصية جديدة قادرة على مواجهة هذه المتناقضات، شخصية لا تلتزم بأية معايير أخلاقية تفرضها عليها الطبقة الاجتماعية والمستوى الثقافي، فتنساب الشتائم البذيئة وإشارات اليد القذرة تعبيرا عن التمرد على هذا المجتمع الذى قررت صدمه بأقصى حالات الإهانة؛ إذ وقفت عارية تماما أمام النيل في تحد صارخ لكل القيم والعادات والتقاليد والأعراف، لتعرى هذا المجتمع ذا التدين الزائف والمظاهر الخادعة. فلم يتحرك ذوو اللحى، ولا ذوات الحجاب والنقاب لتغطيتها وستر عريها، فينتقل لا وعى عبلة من بائع الذرة المشوي هذا الرجل الطيب الذى يقف على كوبرى الجامعة، أو موقف الميكروباص، وجامع السلطان حسن ومئذنته الحقيقة ومئذنته التي رسمتها أمها على قطعة القماش بالسيرما وبائعة الجرجير الفقيرة في أحد الأسواق المزدحمة ...ومن هذه النماذج لبساطة المواطن المصري الكادح يقفز لا وعى عبلة إلى شارع الهرم والسكارى، والبلاطجة ، والراقصات، ومبنى محكمة الأسرة، ودموع مطلقة شابة حكم لها القاضي بنفقة مائة جنيه من زوجها المليونير، ورجال يدعون التدين وهم يذبحون رجلا أمام الأطفال قصاصا ويصورونه بهواتفهم، أو يحولون الشوارع إلى بركة دماء بذبائحهم احتفاء برئيسهم المنتخب... [٤٠]

فقد انقسم وعى عبلة إلى ضدين رفضا لهذا التضاد بين الطيبة والعنف، بين الجمال والقبح. كان انقسامه النفسي مرآة لانقسام المجتمع." يتكاثف البياض الساخن عندما أبدأ في انتقاد كل شيء حولي، ثمة علاقة بين زحف البياض وارتفاع درجة سخونته بداخل مخي وبين حدة انتباهي للتفاصيل وعدم مسامحتها أو السماح لها أن تمر بسلام"[٤١]

أما عن الثقافة والإعلام، المؤسسة المنوط بها مكافحة هذا القبح، فقد تحولت إلى حالة من السيولة، أو الفوضى الإعلامية التي صاحبت مرحلة ما بعد الثورة؛ فقد تحول التليفزيون إلى برامج حوارية متتالية متواصلة، وأصبح الناس جميعا محللين سياسيين أو نشطاء سياسيين " كيف يجلس في التليفزيون كل ساسة مصر وعلمائها، وثوارها مع مقدمي البرامج الحوارية على مدار الأربع وعشرين ساعة كأنهم يجلسون أمام دوار عمتي فاطمة على المصطبة الكبيرة في المنيا. أتساءل مَنْ إذن يعمل الآن في البلد؟ وجميعهم أصبحوا سياسيين او نشطاء يواصلون تحليل كل شيء، تحليله إلى عناصره الأولى)[٤٢]

- **المجتمع الذكوري:**

لم يفت سهير المصادفة وهي تعبر عن لا وعى المرأة المتمردة الرافضة لكل مظاهر الهزيمة والانكسار والتهميش أن تعرج على القضايا النسوية المتعلقة بما تعانيه المرأة من ظلم في مجتمع ذكوري، تتجلى مظاهر اضطهاد الأنثى فيه منذ لحظة ولادتها. هذا التمييز الجنسي الذي يفصح عن نفسه من خلال مظاهر متعددة، ذكرت منها اهتمام الأسر العريقة بتعليق صور رجالها على الحائط، دون صور النساء. وتتساءل الكاتبة سؤالا استنكاريا لماذا خلد التاريخ الأدبي قصائد غزل الرجال في النساء، ولم يعن بغزل المرأة للرجل. أو لماذا أحجمت المرأة عن الغزل بالرجل؟ هل كان خجلا لأن جمال الرجل في شخصيته وليس ملامحه، أم هو خوف المرأة من ترغيب الأخريات في الرجل الذي تحبه إذا ما تغزلت به فيتهافتن عليه. إنها العقلية الشرقية على أية حال. ومن هذا المستوى الفكري الجدلي في وصف ذكورية المجتمع تقفز الكاتبة من خلال السياقات السردية المتفرقة المعبرة عن لا وعى عبلة ولولا إلى العنف ضد المرأة وبخاصة في مجتمع الصعيد حيث لا تأكل المرأة إلا بعد أن يأكل زوجها، وحيث يضرب الرجل المرأة بعنف وقسوة ملحقا بها الضرر الذي يصل إلى العاهة المستدامة مثلما فعل زوج فاطمة بها؛ إذ ألقى في وجهها منقد الفحم المشعل فأفقدها عينها اليسرى. ومع ذلك رفضت فاطمة طلب الطلاق حرصا على التقاليد والعادات وسمعة الأبناء بين أهلهم وأصدقائهم حتى لا توسم بأنها مطلقة فظلت في بيت أخيها منفصلة عن زوجها إلى أن توفاه الله.

- الحالة السياسية في مصر بعد ثورة يناير

تناولت " بياض ساخن" الظروف السياسية والاجتماعية في مصر بعد ثورة يناير، واعتبرتها من أهم الأسباب التي أدت إلى انهيار لولا. فما أصاب لولا من مرض نفسي لم يكن إلا رد فعل عنيف إزاء صدامها النفسي مع الواقع، بعد أن شاركت في ثورة يناير التي آمنت بمبادئها، وحلمت معها بالمستقبل الأفضل. ولما لم تستطع التكيف مع الواقع وما آلت إليه الأمور بعد الثورة كان الحل الأمثل لها الانسحاب من الواقع والتقوقع داخل الذات. فقد كان الهروب ملاذها من هذا الصدام الذي لم تحتمله قواها النفسية والعصبية.

ومن خلال تصوير النوبات المرضية تناولت سهير المصادفة الموقف الأمريكي من ثورة يناير وحكم الإخوان من خلال وعى عبلة وحواراتها المتخيلة مع الشخصيات الوهمية التي نسجتها من خيالها. فقد توهمت حوارا مع "بيل" زوج صديقتها منى، العجوز الأمريكي الذى جعلته ممثلا للسياسة الأمريكية ووجهة نظرها في ثورة يناير، وحكم الإخوان، ودعمها لهذا الحكم وادعاء شرعيته بأن رئيسه هو أول رئيس مدنى منتخب ،ونقده لفوضى الشارع المصري إبان ثورة يناير وما بعدها، وانتشار حوادث السرقة التي تعرض له هو شخصيا، إذ سرقت سيارة زوجه واضطر إلى دفع عشرين ألفا من الجنيهات للسارق حتي يستردها بعد أن سطا على كل ما فيها من أجهزة، وانقطاع الكهرباء بإنزال سكاكين محطات الكهرباء في وقت واحد لإفشال الرئيس المنتخب متبنيا وجهة نظر الإخوان وتفسيراتهم لسوء أحوال المجتمع المصري بأنها محاولات لإفشال نظام الحكم.

وفى ثورتها على الرجل الأمريكي والنظام الذي يمثله، ورفضها كل ما يمثل ظلما للإنسان وحقه في الحياة الكريمة، ثارت عبلة ثورة عارمة وهى تنتقد لا شعوريا النظام التركي الذي تنحدر من سلالته، إذ يهاجمها "بيل" بأنها تنحدر من سلالة الذين اخترعوا كل سبل التعذيب القذرة: "ما فاق كل تصورات العالم هو اختراع سلالتك لتعذيب الإنسان بوضعه على الخازوق. أي عقل موتور يمكنه أن يخترع هذا الاختراع "[٤٣] وكما يرفض وعى عبلة لا شعوريا قسوة الحكم التركي وظلمه، يرفض أيضا قسوة الحكم الغربي ذي الأصول الرومانية: "سلالتك الرومانية التي كانت تضع المحكوم عليه أو المغضوب منه في حقيبة وتضع معه في الحقيبة نفسها أفعى سامة وكلب وديك وقرد ثم تلقى بالحقيبة في البحر"[٤٤]

ولعل حالة الانقسام في البيت المصر إزاء حكم الإخوان كانت من أقسى التجارب التي لم تحتملها لولا ودفعتها للهرب. فقد أصيب بيتها نفسه بهذا الانقسام. ابنها أحمد طالب الامتياز الذى سيتخرج بعد شهرين من كلية طب القصر العيني، والذى استغل الإخوان تكوينه النفسي والعقلي للسيطرة على وعيه وتجنيده هو نموذج للشاب المصري المتدين طيب الخلق الرقيق الذى ربما أبكاه فيلم رومانسي ، المهموم بآلام الناس

وأوجاعهم ،استطاع الإخوان تجنيده مثلما جنوا غيره من شباب الثورة في ميدان التحرير واتخذوهم دروعا بشرية لحمايتهم.[٤٥]

وابنها إبراهيم الشاب المصري الذي لم ينضم لأي حزب أو جماعة ولم يخرج من عباءة أحد شارك في الثورة إيمانا بمبادئها مواطنا مصريا يحلم لبلده بالمستقبل الأفضل وقد ساءه كثير، مثل غيره من الشباب اختطاف الثورة فانضم لفريق من أصدقائه "تمرُد" لإعلان رفضهم القفز على الثورة واختطافها.

أما الابن الأصغر أمجد فهو طالب في الثانوية العامة لا علاقة له بكل هذه الأمور فهو يعيش على مواقع التواصل الاجتماعي يحادث زملائه وزميلاته وأساتذته ويهدى البنات ورودا حمرا ودباديب ويتعمد إغاظة الأولاد .أما أخواه فيراهما " ملتاثي ثورة مجرد فاشلين يحاولان التحقق بأية طريقة)[٤٦]

من خلال شخصية مجدي عرضت الكاتبة بعض مواقف التيارات المختلفة في المجتمع المصري من ثورة يناير؛ إذ يراها رجال أمن الدولة من نظام مبارك أنها محاولة منظمة لنشر الفوضى، وأنها كانت حشدا متعمدا من القوى الخارجية لزعزعة أمن واستقرار المجتمع المصري :(هل تعلمتم شيئا عن آليات نشر الفوضى عبر وسائل الميديا الحديثة؟ أو هل تعرفون شيئا عن تعبئة الجماهير بشعارات خلابة مثل: الإسلام هو الحل؟ او هل تعرفون كيف يتم استلاب عقول الجماهير وأرواحهم وتلخيصهم في شخص واحد مثل: كلنا خالد سعيد؟ ...هل توقف أحدكم أمام تأثير صورة واحدة على الناس ليلا ونهارا؟)[٤٧]

فى " سنوات التيه" طرحت الكاتبة بعض القضايا الوطنية دون الغوص فيها من خلال شخصية فارس الشاب المناضل الثوري الذي تم اعتقاله فضاعت من عمره سنوات كثيرة في المعتقل، ثم هاجر إلى أمريكا يائسا من القدرة على التغيير. كان فارس مؤمنا بنضاله الثوري (النضال من أجل الوطن ليس مغامرة يا ناديا، إنه واجب على كل مصري، وإذا كان غيرى جبُن عن أن يدافع عن الحق، وإذا كنت دفعت الثمن من عمرى فأنا لست نادما، ومستعد أن يضيع عمرى كله من أجل وطني من أجلك ومن أجل الاجيال القادمة، أولادي وأولادك ")[٤٨] بينما ناديا كانت ترى أن النضال ضد النظام عمل عبثي (إن الوطن ليس حاكما أو مناضلا، الوطن هو هؤلاء الناس الذين تراهم منبهرين بشاب يقفز في بئر ويسهرون طوال الليل في الشارع احتفالا بنصر كروي. ثم يقفون في الصباح في طوابير الخبز وأنبوبة البوتاجاز إذا كنت ترغب في النضال، ناضل معهم ومن أجلهم، لتوفير الخبز أو العلاج لرجل فقير لا يملك ثمن الدواء، أما النضال السياسي الذي ينتهي بحصولك على لقب مناضل هو في النهاية لا يهم الوطن في شيء)[٤٩] كانت علاقة ناديا بفارس واختفاؤه من حياتها من الألغاز التي سعى الدكتور خالد للكشف عنها فقد كانت هذه العلاقة وفشلها سببا في تعلقها بأول رجل حاول أن يعوضها عنها على

الرغم من الفارق الكبير بين عمريهما. كان اختلاف الرؤى السياسية ، والاختلاف في تحديد الأوليات اختلافا جوهريا بين ناديا وفارس. وقد تركت هذه العلاقة جرحا غائرا في نفس ناديا لم تستطع نسيانه.

ولم تتعرض الكاتبة لكثير من هذه التفاصيل المرتبطة بالبيئة الخارجية والمجتمع فقد كانت أكثر اهتماما بالنتائج ومظاهر الفساد في المحيط الذى تتحرك فيه شخصية ناديا وشخصية خالد باعتبارها مظاهر دالة على ما يموج به المجتمع من فساد أخلاقي. فشخصية ياسر تقدم نموذجا للطبيب الذي يبيع ضميره المهني للحصول على المال. وهو يمثل هذا التيار الذي يبرر كل شيء، فالغاية تبرر الوسيلة والعلل المنطقية موجودة دائما. لذا لا عجب في أن يشترك في مؤامرة جريمة قتل المحامي طالما سيجنى من ورائها مبلغا محترما من المال. اضطر ياسر للعمل وهو طالب بكلية الطب ليعول نفسه وأخته بعد وفاة والده الذى كان يفخر دائما بأنه ربى أولاده من مال حلال : (بعد أن توفى الأب وياسر في السنة النهائية في كلية الطب وأخته الصغرى في الثانوية العامة لم يكن هذا الحلال يكفي حتى ربع الشهر، فبحث عن عمل يعينه على متطلبات حياتهم، وبعد جهد وعناء عطف عليه أحد الأطباء الكبار ذوي الاسم والمكانة والثروة الطائلة واستعان به ليساعده في عيادته، وكان يكرر عليه دوماً انه لا يحتاج مساعداً وإنما ذلك من باب العطف والكرم، خلع ياسر كرامته مضطرا وعلقها خلف باب عيادة الطبيب الشهير، وبعد فترة اضطر أن يخلع ضميره المهني والأخلاقي ليصمت عن جرائم مهنية وأخلاقية تتم أمام عينيه...)[٥٠]

*** أعراض المرض:**

- انسياب الوعي:

قدمت " بياض ساخن" شخصية عبلة التي ينقسم وعيها إلى شخصيتين تعترض كل منهما على الأخرى، وترفضها. وتعيش كل منهما عالمها الخاص بوعيها المستقل بالعالم الداخلي والعالم الخارجي.

ويبلغ الصراع بين الشخصيتين مبلغا خطيرا إذ تتملك لولا رغبة قوية في قتل عبلة والتخلص منها. وهذه الرغبة في حقيقتها هي رغبة في الانتحار والتخلص من الحياة التي تعجز المريضة على التكيف معها:

" كانت رغبتي فلى قتلها تكبر وتفور داخلي مثل فوران الحليب عند غليه ،ـ لا مفر، سأقتلها، سأقتلها فهي لم تترك لي حلا آخر"[٥١]

لولا حبيسة الفضاء المكاني الذي يتمثل في منزل الأسرة والذي يشكل فضاء زمكانيا يرتبط بشخصيات الأسرة وحكاياتها وعلاقة الشخصيات بعضهم ببعض، وبالمواقف الحياتية المختلفة التي تصور الكاتبة من خلالها منظومة القيم السائدة في المجتمع المصري، عبر أجيال تمثل فترات زمنية مختلفة. فوعى شخصية لولا يتحرك

عبر فضاءات زمكانية مختلفة المستويات في الماضي تقطعها قفزات الوعي لتقديم بعض الأحداث في الحاضر ترتبط في معظمها بعلاقة لولا بأخيها مجدي وما يدور بينهما من حوارات تتعلق بعبلة وسلوكياتها.

أما عبلة فهي الجانب المريض من هذه الشخصية. هذه الشخصية المتمردة الرافضة كل من حولها وكل ما حولها. وهي لا تعرف اسمها، ولا تعرف شيئا عن ماضيها الذي كلما حاولت استدعاءه زحف هذا البياض الساخن على وعيها وأدخلها في حالة من التشويش لا تستطيع معها تمييز أي شيء عن حياتها. هذا البياض الذي يزحف على الصور المشوشة في وعيها فيمحوها قبل أن تستطيع القبض على ملامحها. وعندما تفشل محاولاتها تعاود الهروب إلى داخل ذاتها لتنسحب من هذا الواقع القبيح الذي ترفض كل ما فيه من قبح. تنسحب أمام هذا السيل الجارف من القبح الذي يحوطها ويفرض نفسه على بؤرة وعيها (تنوء أنفاسي بالصراخ. كل شيء يدور حول نفسه أمامي وتدهسني التفاصيل نفسها)[٥٢]

وبينما يتحرك وعى لولا في الزمان لاسترداد الذكريات والعلاقات بالأسرة والمجتمع، ترتبط حركة وعى عبلة المرشدة السياحية بالرحلة في المكان؛ إذ يتحرك وعى عبلة في فضاءات زمكانية يشكل المكان المحور الأهم فيها ومن خلالها ترصد الكاتبة الشارع المصري وما طرأ عليه من تغيرات سلوكية وأخلاقية وجمالية. تحاول عبلة تذكر بعض الأشياء أو الشخصيات ولكنها تصطدم بحالة التشويش الذهني التي تطغى على وعيها، فتغلف الأشخاص والمرئيات والذكريات التي تحاول جاهدة استرجاعها بحالة ضبابية لا تستطيع معها تمييز الأشياء.

وفى "سنوات التيه" قدمت الكاتبة الملابسات جميعا للشخصية العصابية ناديا المصابة بمتلازمة الجمال النائم هروبا من واقعها المتأزم وخبراتها الحياتية والعاطفية التي طوقها الفشل فآثرت الهروب إلى النوم لفترات طويلة. وفى حالات الصحو كانت تنسج القصص والوهمية والحكايات عن أسرتها مثل اختلاق حادثة موت عمها في العبارة، وتشويه صورة ابنة عمها واختلاق الأكاذيب عن علاقتها بفارس، وعدم قدرتها على تذكر أهلها ومكان سكنهم

أما شخصية الدكتور خالد فهو مريض البارانويا صانع هذا العالم الوهمي من خياله أيضا هروبا من واقعه المأزوم بعد أن تسبب في وفاة زوجه وابنه. وقد بدأت رحلة الدكتور خالد باختلاق شخصية الدكتور سليمان الذي يعد أوراقه للهجرة إلى استراليا فقد كان الهروب رغبة نفسية ملحة تسيطر عليه. ومن خلال وصف الكاتبة لحالة التشويش الذهني للشخصية يبدأ السرد رحلته من خلال وعى شخصية سليمان الذي نام في عيادته ثم فتح عينيه ليجد أمامه هذه المريضة التي لا يعرف كيف دخلت على الرغم من أن الباب مغلق :(فتحت عيني لأجد أمامي فتاة شابة في أسوأ حالاتها وقد نال منها الإعياء

مبلغه. هيئتها رثة ممتقعة اللون، نحيلة الجسد، وقفت متسمرة أمام المكتب تنظر إلى نظرات زائغة وأنفاسها تتلاحق بشدة، شعرت بالفزع، كيف دخلت المكان... قالت بتوسل : أرجوك ساعدني وفقدت الوعى)[٥٣] ثم يتوحد وعى خالد وسليمان إذ يتذكر لقاءه بها في الغردقة.

حين يأخذ الدكتور خالد في سرد مواقف ناديا المريضة الوهمية التي استدعى حالتها المرضية متقمصا شخصية الدكتور سليمان المعالج لها تتشابه لا إراديا ذكريات هذه الحالة المرضية وحواراته معها وهي تناديه باسم دكتور خالد إذ يصير ذهنه مشوشا بين شخصيته الحقيقية وشخصية الدكتور سليمان في الواقع البديل الذى خلقه لنفسه.

تختلط الأحداث والذكريات في ذهن خالد بين الواقع والوهم، بين مواقف حقيقية عاشها وتفاصيل كثيرة أضافها خياله إليها. فقد كان لقاؤه بشخصية ناديا حقيقة في زمن ما. كانت ثمة مريضة التقى بها وأشرف على علاجها ليس بالضرورة ان يكون ناديا هو اسمها ولكنها جزء من خبراته المهنية المختزنة فقد التقى بشخصية مريضة بمتلازمة الجمال النائم، كان لقاؤه الأول معها في الغردقة وهو إذ يصف وعى ناديا وهي تتذكر صورته عندما رأته للمرة الأولى إنما يرسم صورة لنفسه. تلك الصورة التي أرادها ان تكون انطباعا عنه في نفس مرضاه :(نظرت للرجل الجالس أمامي إنه لا يزال يحتفظ بقوامه الرياضي مثلما رأيته منذ سنوات لم يتغير كثيرا، بل إنه لم يتغير مطلقا جاذبيته، ابتسامته، وتلك النظرة التي توحى بالكثير دون أن تفصح)[٥٤]

وقد عبرت الكاتبتان كلتاهما عن أعراض المرض من خلال تصوير العالم النفسي ومستويات الوعي عند الشخصية العصابية.

فمن خلال تناول الزمن النفسي للشخصيات والاسترجاع الخارجي للأحداث عبر تداعى الأفكار على وعى الشخصية، قدمت الكاتبتان تاريخ الشخصية وعلاقاتها. فقد تنوعت في " بياض ساخن" مستويات الاسترجاع الخارجي في العمق الزمنى الذي يستدعيه وعى الشخصية دون ضابط للتحكم في تسلسل الأحداث وتعاقبها. فالكاتبة تصور حركة الوعي في حريتها المطلقة المعبرة عن فوضوية الأحداث في اللاوعي الذي لا يخضع لأي منطق زماني أو مكاني. فحركة الوعي عبر الزمكان تمثل قفزات ذهنية تخرج من اللاوعي إلى بؤرة الوعي لتخرج الشخصية من الشعور بالزمن الآني الخارجي للغوص في الزمن النفسي الذي تستدعى فيه الصور والمرئيات والمواقف الحياتية التي تشكل خبرات الشخصية وماضيها وماضي أسرتها.

في الفصل التاسع على سبيل المثال يقدم الفصل الروائي من منظور لولا التي تقوم بدور الراوي المشارك الذي يحكى بضمير المتكلم. تصور الكاتبة وعى الشخصية وهو يتحرك عبر خمسة مستويات زمكانية مختلفة ترتبط كل منها بمرحلة من مراحل نمو الشخصية. يستدعى بعضا مواقف شاركت فيها الشخصية وتشكل جزءا من تجربتها

الحياتية في علاقتها بأفراد الأسرة وبخاصة العمة، وبعض الذكريات التي ترصد فيها تطور علاقة العمة والأم من شخصيتين متصارعتين إلى شخصيتين صديقتين بفعل الزمن والتعاطف الإنساني، وبعضها خبرات عن حكايات متوارثة لم تسعفها الذاكرة لمعرفة مصدرها على وجه التحديد ولكنها شكلت صورة ذهنية مختزنة في لاوعي الشخصية عن علاقة أمها ذات الأصول التركية بالمجتمع المصري في بداية لقائها بالأب ونظرتها لهذا المجتمع ونظرة المجتمع لها.

يتناول الفصل الروائي من خلال الاسترجاع الخارجي إلى أبعد نقطة زمكانية في الزمن الماضي علاقة الأم بالأب وتعارفهما، إذ وقع الأب في غرامها منذ اللقاء الأول حين زارته في مكتبه ليرفع لها قضية حراسة لاسترداد أراضي وعقارات أسرتها ، ثم الخطبة وصحبتها لزيارة عائلته في الصعيد وتفاصيل كرم الضيافة المصري في استقبالها بموائده العامرة بخيرات الأسرة المصرية، ثم تقييم المرأة الصعيدية ممثلة في العمة فاطمة لهذه الغريبة (والنبي يا أحمد يا أخي ، " ما تخدش السهتانة، ولا أم كحلة ولبانة، تأكل وتعمل عيانة")[٥٥] ورد فعل الأم التي ثارت لكرامتها وقررت صرف النظر عن الزواج كله ولكنها تزوجته بعد شهر واحد من هذه الواقعة .

وعلى غير ترتيب زمني يستحضر وعى عبلة صوت أمها وعمتها وهما تشاكسان بعضهما في المطبخ الذي يمثل ساحة المنافسة بينهما؛ إذ تتفاخر كل منهما بما تتقنه من ألوان الطعام الذى يمثل ثقافة بيئتها.

وبعد المقطع الحواري الطويل الذي تسترجعه الشخصية وقد تحددت أبعاده المكانية (مطبخ بيت الأسرة) وظلت أبعاده الزمنية غير محددة البعد التاريخي في حياة الشخصية- فهو موقف متكرر بين شخصية العمة والأم- قفزت الأفكار من وعى الشخصية لتقطع تدفق الأحداث في هذا الفضاء الزماني بفقرة سردية قصيرة، تعلق فيها الشخصية على هذه الذكريات وتطور العلاقة بين الأم والعمة. وكيف أصبحت العمة فاطمة تتقن الأكلات التركية التي كانت تعد سرا خاصا بالأم التي لم تكن تعطى وصفات أكلها لأحد، لتظل أكلات المطعم التركي نقطة تميز لها. فقد أصبحت العمة تتقن هذه الأكلات التركية لتصبح هذه الفكرة مثيرا يستدعى إلى وعى لولا حوارا آخر بين الأم وفاطمة تعبر فيه الأم عن امتنانها لفاطمة التي أصبحت تقوم على خدمة أفراد العائلة جميعا وتقدم لها طعامها بعد ان أقعدها المرض.

وبالتقنية نفسها التي تلتزمها الكاتبة في التعبير عن حركة وعي الشخصية، وما يعتريه من فوضى ينتقل الحوار إلى مقطع سردي تصف فيه لولا شخصية العمة وبعضا من ملامح ثقافتها التي تشكل نموذجا لثقافة المرأة الصعيدية في مطبخها.

ثم ينتقل وعى الشخصية إلى حدث مختلف تماما من أحاديث المطبخ والطعام لا يربطه بما قبله سوى علاقة الشخصيات بعضها ببعض، وتطور هذه العلاقة فتصور

الكاتبة وعى الشخصية وقد انتقل إلى العام الأول لمرض الأم ،وكيف أثر هذا المرض على أجواء البيت ؛إذ ألقى عليه ظلالا سوداء واختفت منه الضحكات فتصور هذه المرحلة من حياة الشخصية وتطور علاقة فاطمة بالأم: " انتقلت عمتي فاطمة من حجرتي حيث سريرها الدائم، إلى جوار سرير أمي لتنام على كرسي فوتيه متكورة مثل قطة ضخمة وتعلمت أن تنام وهى جالسة موسدة وجهها الصغير في يدها كنت أراها هكذا كلما دخلت لأطمئن على أمي تفتح عينيها وتنظر لي وهى مبتسمة بمحبة فتقول أمي: حبيبتي يا فاطمة خذيها يا لولا لتنام في سريرها)[٥٦]

تلتزم الكاتبة التقنية نفسها في الفصول الروائية التي تقدم من منظور لولا إذ تصور قفزات الأفكار والمواقف على وعى الشخصية، وانتقالها من السرد المباشر إلى السرد غير المباشر لهذه المواقف من حياتها، ثم تقطع الاسترجاع بمناجاة للنفس تمثل فقرة سردية تقريرية تعلق فيها لولا على أحداث أو شخصيات قفزت فجأة إلى وعيها دون أي ترابط بما قبلها ثم تعاود الغوص في استرجاعاتها للماضي بمستوياته المختلفة. ومن خلال هذه المقاطع السردية قدمت الكاتبة الشخصيات السردية جميعا في علاقاتها ببعضها البعض وتطور هذه العلاقات ونهاية كل منها لتقدم صورة واضحة عن البيئة الأسرية لشخصية لولا وما اختزنته من تجارب وخبرات شكلت ضغطا نفسيا وعصبيا على الشخصية فوصلت بها في النهاية إلى ما هي عليه من مرض نفسي.

أما الشق الثاني من الشخصية (عبلة) فهي هائمة على وجهها في شوارع القاهرة المعزية تتلمس ما طرأ على المجتمع المصري من تغيرات. فترصد مظاهر القبح في هذا المجتمع. تعانى خوفا دائما من التيه في الشوارع، فثمة أماكن تعرفها جيدا وتشعر أنها مرت بها من قبل ، ولكنها لا تستطيع البعد عنها وتبحث دائما عن رفيق للطريق قد يكون الشاب صبى المقهى، أو بائعة الجرير، يعتمد وعيها على التصوير الخارجي للمشاهد والمرئيات في اللحظة ذاتها التي تعيشها؛ فتصف اللوحات الزيتية وتستدعى تاريخ كل منها، تصف شوارع القاهرة والحوارى الضيقة ، وتصف الأماكن والناس الذين يتحركون فيها. فنشاط اللاوعي يستظهر بشكل لاإرادي المحزون المعرفي والتجارب المختزنة لمرشدة سياحية ارتبط عملها في مرحلة ما من حياتها بهذه الأماكن.فهى شديدة الارتباط بالأماكن لذا تضفى على كل منها صفة من مخيلتها ثمل ارتباطا بين الصفة والموصوف في وعيها :" الأهرامات ورمالها الصفراء...وصمت أبى الهول المحتشد بأسراره، وبرج القاهرة الذى يحرس النيل من عل والنيل المكتفي بجماله وحيواته المتعددة ومقياسه العتيق..."[٥٧]

وفى " سنوات التيه" وظفت الكاتبة أيضا الاسترجاع الزمنى للتعبير عن الزمن النفسي للشخصية وما يشوبه من فوضى. إذ لا ترتبط الأحداث والذكريات بأي نسق تراتبي، ولكنها تقفز إلى الذهن في استرجاع عشوائي تحت تأثير المهدئ في جلسات

الاستماع التي يتخذها الطبيب آلية لعلاجها للكشف عن خبايا اللاوعي والخبرات السلبية المختزنة.

تبدأ الكاتبة السرد بفصل روائي طويل تشكل مستويات الاسترجاع الزماني المختلفة مضمونه السردي، فيبدأ باسترجاع زمني يصور وهم ناديا بعد إصابتها بالمرض؛ إذ تتخيل نفسها على سرير بالمستشفى، وتتوهم وجود أمها والممرضات. ثم يقفز وعيها إلى أبعد نقطة استرجاع ممكنة في لا وعيها وهى زيارتها لدير وادى النطرون ليتحرك الوعى بين مرئيات الدير، والمشاهد والمرئيات على الطريق، وسائق السيارة ...قفزات زمنية من مكان لآخر، ومن زمان لآخر تقدم صورا ومشاهد الرابط الوحيد بينها هو ناديا نفسها، فهي جزء فاعل في المشاهد جميعا. توقف وعى ناديا عند ذاك اليوم الذي زارت فيه دير وادي النطرون منذ سنوات وهي تتذكر ذلك التاريخ جيدا لارتباطه بأحداث مميزة قالت وهي تهذي:(اليوم الرابع من أكتوبر عيد ميلاد فاتن يجب أن نعود من الدير قبل الليل لنحتفل معها واليوم أيضا تصفيات كرة القدم بين الأهلي وفريق لا أذكر اسمه. سناء ستتابع المباراة أثناء الاحتفال. ذلك اليوم هو نقطة التوقف عن الحياة الواعية لعقلها ولما عاد لها الوعى عاد عند ذات النقطة التي توقف عندها من قبل)[٥٨]

ينتقل وعى ناديا عبر الصور والمرئيات المختلفة في دير وادي النطرون من السقف إلى الجدران والصور الملونة والأبواب الخشبية العملاقة وأعداد الناس التي تتزايد في القاعة وأمها التي تمتلئ عيناها بالدموع لتختلط في ذهنها المشاهد بين وجودها في الدير ودموع أمها والجارة لوسي طلبا للاستشفاء، ورؤية الناس يتوافدون على القاعة وأمها تبكي والجارة لوسي مسجاه في نعش خشبي في طرف القاعة بالكنيسة تصف الكاتبة حالة تشوش الوعي وتدافع الأفكار التى تومض في ذهن ناديا وهى تحاول تذكر أحداث اليوم التي ترتبط جميعا بأجواء الكنيسة والطقوس الكنسية في مشاهد وسياقات مختلفة

تمثل هذه المقاطع السردية التي تقدم محتوى الشخصية العصابية في محاولة استرجاع بعض المواقف والذكريات مظهرا من مظاهر الفوضى في لا وعى الشخصيات. هذه الفوضى التي تبلغ مداها في انسياب الأفكار وتدفقها؛ إذ يستطيع المريض أن يتكلم لفترات طويلة في موضوعات لا رابط بينها أو أن يكتب ما يدور بذهنه تدفقا دون أن يستطيع إيجاد علاقة بين الأفكار. فتنظيم الأفكار أو الربط بينها يكون مظهرا من مظاهر التعافي من المرض. وقد أطلق التحليل النفسي على هذه العملية الذهنية التداعي الحر

للأفكارLiber Association : "وصف فرويد التداعي الحر بأن يقول المريض كل شيء في تلقائية دون انتقاء أو تعمد مهما كان تافها أو مستهجنا. بعبارة أخرى أن يعبر عن كل الأفكار التي ترد إلى ذهنه في عفوية.. والتداعي بهذا المعنى يتيح الاستبصار بالجوانب اللاشعورية)[٥٩]

في "بياض ساخن" يمثل محتوى الخطاب الطويل الذي استغرق أربع صفحات في الرواية، والذي كتبته لولا لأبيها المتوفى، حالة انسياب الأفكار وتدفقها من اللاوعي دون أن يحكمها ضابط ولا نظام بعينه. خطاب كتبته تبث أباها مخاوفها، وتفرغ على سطوره أفكارها التي تشكل في مجملها صورة لنفسية الشخصية وما تعانيه من شعور بالوحدة والعزلة، وعدم القدرة على التكيف مع هذا العالم، وشعورها بالضعف والهشاشة في مجتمع الضباع. تنساب أفكار لولا وتتحرك في اتجاهات عديدة لا رابط بينها: الحاجة إلى الأب / الشعور بالوحدة والضعف/ تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه حين خذله أهل الطائف "اللّهُمّ إلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوّتِي ، وَقِلّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النّاسِ..." /سيدنا أيوب/ صليب عيسى عليه السلام/مريم المجدلية/ فان جوخ لحظة قطع أذنه من فرط المحبة-/سلفادور دالي عندما ماتت زوجه جالا/ فرجينيا وولف لحظة انتحارها/ مقبرة أبيها... ربما كان الرابط الوحيد بين هذه الأفكار جميعا أنها تتعلق بمواقف مؤلمة في حياة من استدعتهم للحديث عنهم فهم جميعا يشتركون في الشعور بالألم ولحظات الانكسار.

وفى "سنوات التيه" تتدفق الصور والمرئيات في شكل أفكار متصارعة تحاول الخروج إلى حيز وعى ناديا وهى تحاول أن تتذكر ماضيها:(سجل من الذكريات المشوشة يجرى سريعا أمام عيني رجال الحضرة في السيدة زينب يتمايلون وينشدون، فارس يقبلني في المعبد، والفتى النوبي في الحديقة يجذب الكلب بشدة، الدكتور سليمان يحاول أن يبتعد عن المكان دفعته بكلتا يدى في صدره، حاولت أن أعدو نحو فارس، لكنه لحق بي مرة أخرى، حملني بين يديه وأنا أقاوم نظرت في الجهة الأخرى رأيت شابا يلقى بنفسه في بئر مسعود وكاهن الكنيسة يقف أمام البئر يتلو صلواته وصوت جرس الكنيسة يكاد يصم أذني...)[٦٠]

مشاهد من فضاءات زمانية ومكانية مختلفة في القاهرة، وأسوان، والإسكندرية، ووادي النطرون. مواقف لا يربطها ببعضها البعض سوى أنها خبرات حياتية مختزنة في لا وعى ناديا. جلسات الاستماع التي يقوم بها الدكتور سليمان والتي تبدأ بالحقنة المهدئة التي تعمل على تخدير نسبى للعقل الواعي ليفسح لمخزون اللاوعي فرصة للخروج للتخلص من أثر هذه الخبرات وما تمثلها من ضغط نفسي على الشخصية.

- أحلام اليقظة:

يصف التحليل النفسي أحلام اليقظة بأنها " كالأحلام تحقق رغبات وتنهض على ذكريات وانطباعات لتجارب الطفولة، وتتسم كالأحلام بأن الرقيب قد خفف من حظره عليها. وكل الأسوياء يحلمون أحلام اليقظة. وهي تمنح الإشباع، وتعوض عن الحرمان والفشل الذي يصيب المرء من بيئته الخارجية. ولأحلام اليقظة نفس الدلالات التي للأحلام سواء عند العصابيين والأسوياء" [٦١]

في حلم اليقظة ترى عبلة نفسها طفلة مشردة شعثاء. ربما كانت هذه الطفولة التي خلت من مظلة الحب والحنان في كنف الوالدين جزءا من الخبرات السيئة المختزنة في لا وعيها والتي أدت بها في النهاية إلى المرض النفسي: "ما زلت أراني الطفلة التي كُنت ، تسير بين سرب المشردين وهم يواصلون اقتفاء أثرى، هل هذه الطفلة هي المسئولة عن زحف هذا البياض الساخن في رأسي ، كانت طفلة مشعثة ، كانت ساهمة طوال ليال وحدها..."[٦٢] لا تحتفظ عبلة في لا وعيها بأي مظهر للطفولة السعيدة في ظل صرامة الأم، وسلبية الأب أمام حبه لزوجه، وحرصه على عدم إغضابها. لذا لا يحتفظ لا وعيها إلا بصور ذهنية تشى بهذا الحرمان من الطفولة السعيدة:(لا أتذكر أن ثمة رجلا وضعني على ركبتيه ليحكي لي حكايات ، ولم أعد أتذكر سببا واحدا في مسارب أيامى الطويلة يشدني للبقاء)[٦٣]

وفي محاولة لاقتناص بعض المشاهد من الذاكرة المشوشة تغرق عبلة في حلم يقظة وهي تجلس في السيارة، إذ تنسحب من ملاحظة السائق إلى عالمها الخاص (أريد اصطياد المزيد من المشاهد قبل أن يزحف إليها هذا البياض الساخن، لم أ درى لماذا يهاجمني بعضها الآن، ويتشوش بعضها الآخر ملقيا نفسه في زبد عال، منتحرا مثل زرافات طائر البطريق عند شواطئ المحيطات المنعزلة؟"[٦٤] في حلم اليقظة تستعيد جزءا من مرحلة المراهقة التي لم تكن مراهقة سعيدة بأية حال، لذا كانت تهرب من واقعها في هذه المرحلة بالنوم لساعات طويلة .ومن أحلام اليقظة تعبر الكاتبة عن شعور عبلة بالحرمان العاطفي ورغباتها المكبوتة بتعويض هذا الحرمان في رجل ما يحتويها ويمنحها العطف والاهتمام، فتخلق في لا وعيها صورة هذا الرجل الرومانسي الذي تتمناه. تحاول عبلة أن تحقق في حلم اليقظة رغبتها المكبوتة في التخلص من الحرمان العاطفي فترسم صورة الرجل النموذج الذي يشبه عبد الحليم حافظ المطرب العاطفي. ولما كان حلم اليقظة من منطقة ما قبل الوعى، فإنه لا يعدم بعضا من التماسك والترابط فقد ربطت عبلة في حلمها بين الرومانسية التي تتوق إليها والمطرب الرومانسي.

ففي أحلام اليقظة" يستسلم المرء لتخيلات يرى فيها نفسه وهو يحقق آماله ويشبع دوافعه ويتخطى العقبات التي تحول دون ذلك. ولما كنا في أحلام اليقظة أقرب إلى الشعور بينما نكون في أحلام النوم أقرب إلى اللاشعور فإن أحلام اليقظة تكون أكثر استخداما لأساليب التفكير الشعوري ومنطقنا العقلاني المعتاد"[٦٥]

وحين اجتازت ناديا في " سنوات التيه" طريق الكباش، ووصلت إلى المعبد، ووقفت أمام أعمدته وتماثيله انسحبت تدريجيا إلى داخل ذاتها؛ فلم تعد تسمع صوت المرشد السياحي الذى يتكلم عن تاريخ المعبد وراحت تستدعى في حلم يقظة فيلم" صراع في الوادي" وقصة الحب التي ربطت بين فاتن حمامة وعمر الشريف، وما صادفه هذا الحب من عقبات حتى انتهى بالزواج. ووجدت نفسها تتساءل: "لماذا لا يأتي

الحب الحقيقي دائما في الوقت المناسب، لماذا لا يراعى فروق التوقيت أبدا قد يأتينا مبكرا فلا نقدر قيمته ونضيعه بغباء، أو يأتينا متأخرا فنلهث وراءه محاولين الإمساك بأي خيط يوصلنا للسعادة المنشودة"[٦٦] فقد كانت تتحدث عن نفسها وهى في المنطقة الوسطى بين الوعى واللاوعي، منطقة شبه الوعى حيث مناجاة النفس ، وما استدعاء قصة فاتن حمامة وعمر الشريف إلا من قبيل المشابهة بقصتها مع فارس الطالب بكلية الحقوق ورئيس اتحاد الطلاب . هذا الشاب المسيحي الذي يمثل الحب الأول في حياتها. ذلك الحب المحكوم عليه بالنهاية غير السعيدة لما يقف أمامه من أعراف وتقاليد، تحول بينه وبين النهاية السعيدة التي انتهت إليها قصة عمر الشريف اليهودي وفاتن حمامة المسلمة. إنه اختلاف الثقافات بين الطبقات الاجتماعية فما تجيزه طبقة قد تراه غيرها جريمة اجتماعية.

وبينما كانت تشاهد عرض باليه "بحيرة البجع " بدار الأوبرا انسحبت إلى عالمها الداخلي، وجدت نفسها وقد توحدت مع العرض الفني؛ وإذ رأت نفسها جزءا منه: (لا إراديا امتدت يدى لساقى المصابة أتحسسها وكأنى أعزى نفسى بأنه لولا هذه الإصابة لكنت أنا في صفوف تلك الفتيات، توحدت مع العرض أمامي حتى أصبحت جزءا منه، نسيت سناء وعاطف والجمهور وهامت روحي مع الراقصات، حتى خيل إلى انى اقف على خشبة المسرح، أنا بطلة ذلك العرض...")[٦٧] فقد عاشت الحلم لتحقق رغباتها في أن ترقص الباليه مرة ثانية وتطير على خشبة المسرح مثل الفراشات، وأن تكون هي الأميرة بطلة العرض وهى جميعا رغبات مستحيلة في عالم الواقع .

- الأحلام:

" الحلم هو الطريق الملكي إلى اللاوعي"[٦٨]

ترسم شاهيناز الفقى من أحلام ناديا صورة لعلاقاتها الاجتماعية المختزنة في اللاوعي بأفراد أسرتها فمن أحلامها التي ترويها لطبيبها المعالج رؤيتها سناء ابنة عمها وهي ترتدى فستانها الأحمر العاري والشعر الأصفر المصبوغ في حالة من النشوة والإثارة يبثها فيها رجل لم تميز ملامحه. يعكس الحلم الصورة الذهنية العدائية تجاه سناء التي كونتها ناديا في لا وعيها عنها والتي يكتشف الطبيب سببها فيما بعد؛ إذ تزوجت سناء بعد طلاقها زوج فاتن بعد وفاتها وأخذت ابنتها لتربيها. رفض وعى ناديا موقف سناء واتخذت منها لا شعوريا موقفا عدائيا استبعد الجانب الإنساني من القصة ليسم سناء بالعهر والشبق الجنسي.

وتعبر أحلام ناديا عن مخاوفها من المجهول، وشعورها بالضعف وعدم القدرة على مواجهته. فليلة عيد ميلادها رأت الاحتفال بعيد الميلاد، وإطفاء الشموع ثم سرعان ما عم الظلام المكان، شعورها بالخوف ومحاولتها التغلب على خوفها بأن استسلمت لرغبتها في الرقص، فراحت ترقص الباليه الذي قاطعته منذ إصابتها، إلى أن رأت

صورة الأب والأم بحجم كبير والشريط الأسود في ركنها، وشعورها بالخوف والاختناق ومحاولة الاستنجاد بابنة عمها. وقد فسرت لها أمها الحلم بأنه تعبير عن خوفها وهي بصدد استلام العمل لأول مرة بعد تخرجها. وتتخذ الكاتبة من هذا الحلم وسياقه مثيرا يستدعى في لا وعى الشخصية ذكريات اليوم الأول لها بالمدرسة لتشابه التجربة وتشابه المخاوف والقلق من المجهول فتوظف فكرة التداعي المشروط الذي يقوم على فكرة المثير والترابط الشرطي بين الأفكار والذكريات.

ومن خلال أحلام ناديا تثير الكاتبة قضية العلاقة بين الحلم والاستشراف؛ هل يمكن أن يستشرف الإنسان في أحلامه أحداثا ستقع في المستقبل؟ فقد رأت ناديا في الحلم أحداث معبد الدير البحري، والاعتداء على السياح الأجانب، ذلك الحلم الذي تكرر معها أكثر من مرة وهي ترى نفسها جزءا من تفاصيل المشهد الدرامي؛ إذ كانت في رحلة إلى الأقصر وأسوان: (في نهاية الرحلة كنا نتجمع عند الأتوبيس للعودة قبل الغروب. صوت رصاص. وفجأة تعالت الصيحات. وبدأ السياح يهرولون بفوضى في كل اتجاه، تناثرت الدماء في المكان؛ لحظات قصيرة لم تدم وأنا أقف في مكاني أتابع المشهد.. نظرات الرعب في وجوه القتلى.. رمال المعبد امتزجت بالدماء)[٦٩] ولما كان للحلم منطقه الخاص الذى لا يخضع لمنطق ولا عقل بدأ الحلم بطلقات الرصاص، وانتهى بأن اقترب منها أحد الجناة يحمل سكينا يقطر بالدماء ليجففه في ملابسها. فما كان حلم ناديا إلا جزءا من المخزون المعرفي في لاوعي الدكتور خالد إذ وقع هذا الحادث قبل إصابته بالمرض بسنوات عديدة، فراح لا شعوريا يوظف هذا المخزون المعرفي في حبك الملامح النفسية لشخصية ناديا، ودعم هذه الملامح بسرد كثير من الأحلام على لسانها. تتفاوت من حيث تماسك أحداثها ومنطقيتها. والكاتبة إذ تقدم صورة سردية لهذه الأحلام فإنها أيضا تتوخى الاقتراب من تفسير علم النفس للحلم وسماته (الحلم سلسلة من الهلاوس والتخييلات التي تحدث أثناء النوم وتختلف الأحلام في مدى تماسكها ومنطقيتها... وينجح التحليل النفسي وحده بمعونة مستدعيات صاحب الحلم في تفسير أحلام النوم وكشف ما يتحقق فيها من دوافع تشبعها هذه الأحلام بخاصة إذا كانت دوافع لا شعورية)[٧٠]

- الهلاوس السمعية والبصرية:

الهلاوس السمعية والبصرية عرض من أعراض الأمراض العصابية، وهو عبارة عن "مدركات حسية لا وجود لها في الواقع الخارجي. ففي حالة الهلاوس يحس الفرد أحاسيس ليس لها مقابل في العالم الخارجي أي ليست واردة من منبهات حقيقية كأن يحس بأن شخصا معينا يناديه أو يحادثه وهو في هذه الحالة يراه ويسمع صوته ...ويكون المريض في مثل هذه الحالات مصدقا لكل ما يحس به"[٧١] وكثيرا ما رأت لولا أشياء لا وجود لها إلا في مخيلتها، واستمعت إلى أصوات لا وجود لها خارج وعيها، تجسد مخاوفها والشعور الحاد بالوحدة والانعزال عن العالم . ففي بيت العائلة الكبير حصرت

حركتها في غرفتها والمطبخ والحمام خوفا من المجهول في بقية غرف المنزل وزواياه :(أحيانا أسمع أصواتا غاضبة تزأر فيها، وأحيانا أرى شعاع ضوء كأنه آت من تلك البطاريات الضعيفة التي تباع في ميدان العتبة تضيء فجأة ثم تنطفئ فجأة ، وأحيانا أستمع إلى صلصلة أجراس آتية من عدة قرون مضت، وأحيانا أسمع وقع خطوات ثقيلة تسير هائمة من غرفة إلى غرفة أخرى وعندما تتعب- على ما يبدو- تتوقف أمام سريري وتطول وقفتها هناك)[٧٢]

وفى " سنوات التيه" تبلغ هذه الهلاوس إلى أقصى مدى لها فى تصور خالد لهذا العالم الوهمي الذى اختلقه ليسقط لاإراديا مرضه النفسي على الشخصية الوهمية التي خلقها خياله فهو يراها تتحرك وتتكلم، ويتفاعل مع بقية الخيالات التي منحها حياة كادت أن تكون حقيقة لدقة رسم ملامحها النفسية والعقلية؛ فهو إذ يصف حالة ناديا إنما يصف في الواقع حالته هو: (ناديا لا تعانى فقط من متلازمة النوم او الاكتئاب، وإنما انفصلت تماما عن الحياة التي عاشتها، صنعت لنفسها برزخ يفصلها عن الواقع لتحيا حياة من صنعها ،ترتب هي احداثها كما يحلو لها، تقوم فيها بعمليه الخلق، تخلق الشخصيات وتفاصيلها كما ترغب ان تراهم)[٧٣]

وإمعانا في حبك خيوط قصته الوهمية، وشخصياتها، واقتناعا منه بأنه هو الدكتور سليمان الذي يقوم بعلاج ناديا، يوظف خالد خبراته طبيبا نفسيا ماهرا في تفسير الظواهر النفسية لشخصية ناديا فيفسر لها الكابوس المزعج الذي أفاقت منه منتفضة إذ غفت وهي جالسة على شاطئ البحر :(أحيانا العقل اللاواعى يتحايل على العقل الواعي ويخدعه.. بمعنى أنه لما أصابك انقطاع التنفس أثناء النوم. توصل عقلك لهذه الحيلة، وهى أن ترى نفسك في كابوس لكى تستيقظي ولا تختنقي تماما)[٧٤] وفى إدراك واع لطبيعة العلاقة بين العقل الواعي واللاوعي يشرح خالد لناديا طبيعة الصراع بين العالمين:(ببساطة المعركة داخلنا شديدة تكون دائرة طوال الوقت بين العقل الواعي واللاوعي حتى ينتصر أحدهما على الآخر. أحيانا نكون نائمين في حالة من التعب والإرهاق يرن جرس المنبه.. العقل اللاواعى يشعر أن الجسم مازال يحتاج للنوم.. فيلجأ لحيلة يستدرج بها الوعي لملعبه وهو الأحلام لكي نكمل نومنا.. فنحلم أننا استيقظنا وأغلقنا المنبه وذهبنا للعمال، كل ذلك ونحن لم نبرح الفراش)[٧٥]

*** النتائج:**

بعد هذه القراءة التحليلية للشخصية العصابية في الروايتين نجد أن كلا من الكاتبتين قد تزودت بقدر غير قليل من القراءات في التحليل النفسي حتى تستطيع التعبير عن لا وعى الشخصية العصابية على النحو الذى رأيناه، فسهير المصادفة تعرض على لسان شخصياتها مصطلحات علم النفس التي تصف الحالة المرضية التي تعرضها توخيا لدقة المعلومات وإمعانا في دقة التعبير عن الحالة المرضية التي تشكل موضوعها

السردي، فيرد في حوارات الشخصيات مصطلحات، شيزوفرنيا، ثنائي القطب ، و بارانويا والفصام. وأسماء بعض العقاقير الطبية المستخدمة في علاج مثل هذه الحالات .ومع اهتمام الكاتبة بالمرجعية العلمية في وصف المرض، وأسبابه وأعراضه فإنها ذهبت مذهب العامة في الخلط بين مريض الفصام، ومريض تعدد الشخصيات Multiple Personalities في رسم شخصية لولا.

ومن خلال شخصية الدكتور خالد عرضت أيضا شاهيناز الفقى كثيرا من التعريفات الطبية للأمراض النفسية والعصبية كالاكتئاب، ومتلازمة الجمال النائم، ومتلازمة انقطاع التنفس عند النوم، والبارانويا.

اهتمت سهير المصادفة في تفسير أسباب الإصابة بالمرض بتناول معظم الأسباب المتوقعة للإصابة به على مستوى المرجعية العلمية ، فاستقصت عوامل الوراثة، والعلاقات الأسرية، والظروف السياسية والاجتماعية التي تدفع إلى الإصابة بالمرض العصابي، لتطرح ضمنا رؤيتها الأيديولوجية لملابسات مرحلة ما بعد ثورة يناير، وحكم الإخوان، وانقسام المجتمع المصري فى تلك المرحلة. فى نقد لاذع للظروف السياسية والاجتماعية. بينما انصب اهتمام شاهيناز الفقى على الأسباب الذاتية المتعلقة بالإخفاقات العاطفية وعدم تحقق الذات أسبابا للمرض النفسي من خلال شخصية ناديا. وخطورة العلم الذي يؤدى بصاحبه أحيانا إلى درجة خطيرة من المرض إذا ما تعرض صاحبه لأزمة نفسية لم يقو على احتمالها، مثل الدكتور خالد الذي استطاع أن يخلق هذا العالم الوهمي بكل ما فيه من علاقات متشابكة.

وفى تناولهما أعراض المرض كانت تقنيات تيار الوعي فى التعبير عن وعى الشخصيات في مستوياته المختلفة التقنية الفنية التي استطاعت أن ترسم صورة لتشوش الأفكار، وتدافع مخزون اللاوعي عند الشخصيات من خلال التداعي الحر للأفكار، أو أحلام اليقظة، أو الأحلام والكوابيس. ومن ثم فقد قدمت كل من سهير المصادفة وشاهيناز الفقى نماذج إبداعية للشخصية العصابية اتسمت بالحيوية وتعدد أبعادها الفنية مما يجعلها شخصيات حية قابلة للتصديق.

*** المصادر:**

- سهير المصادفة: بياض ساخن: الدار المصرية اللبنانية في القاهرة، ط١، سنة ٢٠١٥.
- شاهيناز الفقى: سنوات التيه، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، سنة ٢٠١٨

*** الهوامش والمراجع:**

[١] انظر:
- عادل صادق: الطب النفسي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، سنة ٢٠١٧ ، ص ١٧ : ٢٠
- فرج عبد القادر طه حسين عبد القادر(وآخرون) معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، د.ت، ص: ٢٣١، ٢٠٥-٢٠٧، ٢٧٩-٢٨١

[٢] سهير المصادفة شاعرة وروائية وباحثة ومترجمة مصرية معاصرة، حصلت على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٩٤ من موسكو، عضو في اتحاد كتاب مصر، عملت رئيسًا لتحرير سلسلة كتابات جديدة بالهيئة المصرية العامة للكتاب، والمشرف العام على سلسلة الجوائز بالهيئة، وكانت عضو اللجنة التنفيذية في مشروع مكتبة الأسرة، وعضو اللجنة التحضيرية للنشاط الثقافي في معرض القاهرة الدولي للكتاب. شاركت في هيئة تحرير وترجمة بعض القواميس والموسوعات في مصر مثل: قاموس المسرح، موسوعة المرأة عبر العصور، دائرة المعارف الإسلامية. وقد حصلت على العديد من الجوائز الإبداعية وترجمت اعمالها إلى اللغات الإنجليزية والإسبانية والألمانية والصينية. من أعمالها الإبداعية روايات " لهو الأبالسة"، و" ميس إيجيبت" و"رحلة الضباع"، و" بياض ساخن" الرواية موضوع الدراسة.

[٣] شاهيناز الفقي كاتبة روائية وقاصة معاصرة. عضوة اتحاد كتاب مصر، وعضوة نادي القصة المصري. حصلت على بكالوريوس تجارة جامعة عين شمس، ودبلوم الكتابة الإبداعية وكتابة السيناريو من الأكاديمية الدولية الامريكية للفنون والابداع. من أعمالها الإبداعية رواية "سعيدة ملحمة العشق والحرية"، ومجموعة قصصية الدبلة المحبس "، ورواية سنوات التيه " الرواية موضوع الدراسة.

[٤] يوسف غليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، سنة ٢٠٠٧، ص ٣٢، ٣٣

[٥] جان بيلمان بيل: التحليل النفسي والأدب، ترجمة حسن مودن، دار كنوز للمعرفة والنشر، عمان، ط١، سنة ٢٠١٨، ص ١٤٠

[٦] أحمد عكاشة: الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص ٢٣٤
وانظر أيضا:
- عادل صادق: الطب النفسي: ص١٢٣

[٧] سهير المصادفة: بياض ساخن: ص ٩٢

[٨] متلازمة الجمال النائم أو **Kleine-Levin Syndrome (KLS)** اضطراب عصبي نادر ومعقد يصيب الشخصية بنوبات طويلة من النوم لا يستيقظ المريض إلا للطعام أو قضاء الحاجة يصيب الأطفال والكبار على السواء وإن كان الأطفال أكثر عرضة للإصابة به. وقد تكونت مؤسسة عالمية خالصة بهذا المرض لدراسة حالاته ومحاولات التواصل المستمر مع المرضى وتقديم المعونة لهم **Kleine-Levin Syndrome Foundation (KLS)**

انظر: الموقع الإليكتروني للمؤسسة:
https://klsfoundation.org/what-is-kleine-levin-syndrome/

[٩] شاهيناز الفقى: سنوات التيه: ص٢٩٩

* الهذاء أفكار شاذة وغير منطقية يعتقد المريض في صحتها.

انظر:

فرج عبد القادر طه حسين عبد القادر(وآخرون) : معجم علم النفس والتحليل النفسي ،ص ٤٧٢

[١٠] المرجع السابق ص ١٦٨

[١١] المرجع السابق ص ٤٨٣

[١٢] بياض ساخن: ص١٩٤

[١٣] المصدر السابق: ١٩٤، ٢٠١

[١٤] المصدر السابق: ص١٩٦

[١٥] د أحمد عكاشة: الطب النفسي المعاصر ٣١٨- ٣٢٠ (بتصرف)

[١٦] عادل صادق: الطب النفسي ، ص ١٣٣

[١٧] المرجع السابق : الصفحة السابقة نفسها

[١٨] بياض ساخن: ص ١٩٦

[١٩] المصدر السابق: ص٢٢٤

[٢٠] انظر:

- أحمد عكاشة: المرجع السابق، الفصل الثاني عشر (طب النفسي للأطفال) ص ٧٢٣ وما بعدها

[٢١] سنوات التيه: ص٩٢

[٢٢] المصدر السابق: ص ١٤

[٢٣] المصدر السابق: ص ٦٢

[٢٤] بياض ساخن: ص ٢٧٦

[٢٥] المصدر السابق: ص ٢٧٥

[٢٦] المصدر السابق: ص ٦٤

[٢٧] سنوات التيه: ص ١٤

[٢٨] المصدر السابق: ص١٥

[٢٩] المصدر السابق: ص١٢٤

[٣٠] المصدر السابق: ص٢٣١

[٣١] بياض ساخن: ص ١٥٤

[٣٢] سنوات التيه: ص ٢٣١

[٣٣] بياض ساخن: ص ١٣٩

[٣٤] المصدر السابق: الصفحة السابقة نفسها

[٣٥] سنوات التيه: ص١٩١

[٣٦]بياض ساخن: ص٢٣٥
[٣٧] المصدر السابق: ص٩٩
[٣٨]المصدر السابق: ص١٢٤
[٣٩]المصدر السابق: ص ١٣٠
[٤٠]المصدر السابق: ص٢٠٦
[٤١]المصدر السابق:ص٢٧٢
[٤٢]المصدر السابق: ص١٣٥
[٤٣] المصدر السابق: ص ١٢٦
[٤٤]المصدر السابق: الصفحة السابقة نفسها
[٤٥]المصدر السابق: ص٥١، ١٤٠
[٤٦]المصدر السابق: ص٢٣٣
[٤٧]المصدر السابق: ص ٦٤
[٤٨]سنوات التيه: ص ١٣٧
[٤٩] المصدر السابق: الصفحة السابقة نفسها
[٥٠]المصدر السابق: ص ٦٤
[٥١]بياض ساخن :ص٨٩
[٥٢]المصدر السابق: ص١٣٤
[٥٣]سنوات التيه:ص ٣٠
[٥٤] المصدر السابق: ص٢٣
[٥٥] بياض ساخن: ص١٢٢
[٥٦] المصدر السابق: ص١١٨
[٥٧]المصدر السابق:ص ١٨٩
[٥٨]سنوات التيه: ص ٣٢
[٥٩]فرج عبد القادر طه حسين عبد القادر(وآخرون) : معجم علم النفس والتحليل النفسي ، ص١١٠
[٦٠]سنوات التيه: ص ٢٨
[٦١] انظر:
-عبد المنعم الحفني: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مطبعة مدبولي، القاهرة د.ت، ج١، ص١٩٣
- جان بلانش،وج.بونتليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي ترجمة مصطفى حجازي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان،ط٣، سنة ١٩٩٧، ص١٧١، ١٧٢
[٦٢]بياض ساخن: ص٨٥
[٦٣]المصدر السابق: الصفحة السابقة نفسها

[٦٤]المصدر السابق: ص١٠٩
[٦٥]فرج عبد القادر طه: معجم مصطلحات علم النفس والتحليل النفسى، ص١٨١
[٦٦]سنوات التيه:ص٤٧
[٦٧]المصدر السابق: ص ١٥٥
[٦٨]جان بيلمان بيل : التحليل النفسى والأدب ص ٤٥
[٦٩]سنوات التيه: ص٤٦
[٧٠]فرج عبد القادر طه: معجم مصطلحات علم النفس والتحليل النفسى، ص١٨٠، ١٨١
[٧١]المرجع السابق: ص١١٠
[٧٢]بياض ساخن: ص٨
[٧٣]سنوات التيه: ص١٨٦
[٧٤] المصدر السابق: ص١٠٨
[٧٥] المصدر السابق: الصفحة السابقة نفسها